الفصل الثاني:
الإسراء والمعراج

لقد حدثت هذه الآية الكبرى حين نبذت الدعوة المحمدية في كل مكان. وأعرض الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد كربه، وذلك بعد رجوعه من الطائف كئيباً حزيناً حتى لم يستطع أن يدخل مكة وطنه هو وفتاه زيد إلا بجوار مجير هو ابن عمه (المطعم بن عدي) فاتجه إلى خالقه ومرسله العظيم يستمد منه العون، ويسأله متضرعاً الحول والقوة، فأرسل إليه بعطفه من عالم الغيب مدداً، ومن القوة الروحانية والعوالم الغيبية عوناً، وصرف إليه نفراً من الجن حين بات بنخلة في رجوعه من الطائف، وقد قام في جوف الليل يصلي، فاستمعوا له وهو يقرأ القرآن، ثم رجعوا إلى قومهم فأعلمه الله بذلك في قوله تعالى:

قال تعالى:{وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ} [الأحقاف: ٢٩].

يقول (إرفنج) في كتابه (حياة محمد):

(إن هذه الزورة من الجن فيها عزاء وتسلية (لمحمد) بعد رجوعه من الطائف، تلك الرجعة المؤلمة إذ فيها إشارة له إنه إذ كانت دعوته قد نبذت وتعاليمه قد رفضت من معشر الإنس، فقد قوبلت باحترام وإعجاب من الجن، عالم الذكاء الغيبي غير المرئي.. وسبحان من أنزل في قوله تعالى:{وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾} [الأنبياء: ١٠٧].

لقد حدث الإسراء في تلك الفترة، وكان على التحقيق قبل بيعة العقبة، أي في الليلة السابعة والعشرين من شهر رجب - أسرى بالرسول الأمين إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماوات، وفرضت عليه الصلوات الخمس.

ولا شك أنه بجانب ما في معجزة الإسراء والمعراج من ترفيه روحاني ونمو نفساني، واتصال ومشاهدات وأنس ونفحات، وعزاء أي عزاء، حتى لقد رجع صلى الله عليه وسلم من إسرائه ومعراجه وقد خرج من همومه وأحزانه، وفارقه ضيقه وكربه وفتحت أمامه أبواب السماء، وصفت له النفوس ورحبت به أرواح في العالم العلوي فتبدل من الوحشة أنساً ومن الضعف قوة، ومن الفشل نصراً..

يوجد جانب آخر في غاية الأهمية للإنسانية جمعاء يحمل في طياته رسالة عظيمة لتبشير المؤمنين المجاهدين الصابرين الذين شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله بأن لهم أجراً عظيماً وتحذيرًا من يقدسون عقولهم ويسيرون وراء ما يمليه عليهم علمهم القاصر ونظرهم الضعيف، وكل من سار وراء عقله، ووزن كل ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم بميزان فكره قلما يؤمن إيماناً صحيحاً، فإذا راقه من العقل ما يشقشق به في بعض الأحيان لم يلبث أن يسوءه ما يهذي به في وقت آخر، ولا غرو فالجهل حليف الإنسان، والضعف لازم من لوازم البشرية وقصور العلوم من صفاتها الذاتية، وأعراضها اللازمة، وكل من لا يصدق إلا فقط بما وصل إليه عقله وبلغته حدود علمه ليس مؤمناً بالرسول على الحقيقة، وإنما هو مؤمن فقط بعقله...

فلقد جاءت الرسل أيضاً لتخبرنا بما وراء الطبيعة مما لم تصل إليه العقول التي لا تستمد معلوماتها إلا من المحسوسات، وما تنتزعه منها من المعقولات مما هو راجع إليها ومتوقف عليها، ومقدورات الله سبحانه وتعالى لا نهاية لها، وعوالمه لا حد لها، ولكل عالم قانون يخصه.

فمن الخطأ البين الحكم على عالم من العوالم بأحكام عالم آخر، وإذا كنا نرى من بعض أنواع الحيوانات ما لا يعيش إلا في الماء ومن بعضها ما لو مكث في البحر لمات، ومن بعضها ما يقتله ثاني أكسيد الكربون كالإنسان وكثير من الحيوانات الدنيا، لعلنا كنا لا نصدق ذلك قياساً على أنفسنا لولا مشاهدتنا إياه فكيف بما لا نقف له على عين ولا أثر من العوالم الأخرى التي تحس والتي لا تحس - بل وفي رأينا أن الإنسان العاقل الذي يعمل بعقلية بسوية هو الذي يعجب لهم حين يتبجحون ويحكمون في كل الأشياء بالأحكام الجازمة اعتماداً على بعض قوانين وصلوا إلى ظواهرها من قوانين هذا الكون التي لا يحصيها إلا الله، ولا يدري كنهها غير مبدعها الذي لا حد لقدرته، ولا نهاية لعلمه..

ثم أي عقل نحكمه فيما ورد عن الشارع؟ أهو عقل الأفراد أم عقل الجماعات؟ وما هو الضابط إذا اختلفت العقول وليس هناك نوع من الأنواع وقع التفاوت بين أفراده مثل نوع الإنسان الذي هو مظهر المتناقضات، ومجمع الغرائب والعجائب، وقد خاطب الله خلقه بقوله جل وعلا:

قال تعالى:{ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾} [الإسراء: ٨٥].

ويقول عز وجل في حق الإنسان:{إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب: ٧٢].

إن الإنسان في تخبطه وتناقضه وارتباكه في أغلب الأحوال وأعماله الدليل الساطع على أنه مخلوق من الطيش والجهالة والعجز والقصور فعلام تلك الكبرياء، وهو من الضعف بحيث يرثى له.. وفي أمس الحاجة لعون وتوفيق وشرع خالقه العظيم الذي لا نجاة إلا به ولا ملاذ إلا إليه..

ومن الغريب أن هؤلاء الماديين المفكرين لا يستندون إلا إلى الاستبعاد العقلي وقياس الغائب على الشاهد، وإرجاع ما لم يعلموا إلى ما علموا. والجاهل لا يعرف قدر نفسه، ولا قدر العلم، ويعتقد أن كل ما خرج عن دائرة علمه في دائرة العدم وسبحان من أنزل فيهم هذا الكلام:

قال تعالى:{بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾} [يونس: ٣٩].

هذه مقدمة عزيزي القارئ أرى أنه كان لابد منها، فقصة الإسراء والمعراج من أشهر معجزات التاريخ الإنساني وأصدق الأنباء والآيات.

وقد جاء ذكر هذه الآية الكبرى في عدة مواضع من القرآن الكريم:

قال تعالى{سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾} [الإسراء: ١].

قال تعالى:{وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ

﴿ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١ - ١٨].

كما جاء ذكر قصة هذه الآية العظمى أيضاً في عدة أحاديث منها:

ما جاء ذكره على لسان هند ابنة أبي طالب (أم هانئ) إذ قالت:

(إن رسول الله نام عندي تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله، فلما صلى الصبح، وصلينا معه قال: يا أم هانئ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة، كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت صلاة الغداة كما ترين).

وفي رواية أخرى عن مالك:

♂**بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان... فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً فشق من النحر إلى مراق البطن ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيماناً، وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار (البراق) فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا—.**

وفي رواية عن أنس بن مالك عن الرسول صلى الله عليه وسلم :

♂**بينما أنا في المسجد الحرام في الحجر بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق—.**

وفي رواية عن مالك أيضاً:

♂بينما أنا في الحطيم أو الحجر مضطجعاً إذ أتاني آت.. فشق ما بين هذه إلى هذه فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً، فغسل قلبي، ثم حشى ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا... إلخ═.

وفي رواية عن ثابت البناني أن أنس بن مالك في صحيح مسلم:

♂أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه.. فركبته حتى أتيت بيت المقدس..═.

أما ما رواه الرسول صلى الله عليه وسلم **أثناء الإسراء من مكة إلى بيت المقدس كما ذكره أنس بن مالك في هذه الرواية الأخيرة فهو:**

(رأى جنياً يطلبه بشعلة نار فتغلب عليه، وقوماً يحصدون وقال له جبريل: أنهم المجاهدون، وشم ريحاً طيبة من ماشطة بنت فرعون، ورأى تعذيب المتكاسلين عن الصلاة، والذين لا يتصدقون والذين يزنون والذين يقطعون الطريق والذين يأكلون الربا والذين يخونون الأمانة والخطباء الذين يقولون ما لا يفعلون والنمامين والمتشدقين، ثم رأى الدنيا على هيئة امرأة تغوي الناس وشيخاً قيل له: إنه إبليس ورأى الدنيا مرة أخرى على هيئة عجوز قاربت الموت.. إلخ).

وفي حديث أبي هريرة عند الطبراني والبخاري والبيهقي وابن جرير وأبي يعلي:

(أنه عليه الصلاة والسلام مر على قوم يزرعون، ويحصدون في

يوم كلما حصدوا عاد كما كان، فقال لجبريل: ما هذا؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين، ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم وتكسر بالصخر، وكلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم ذلك شيء، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة، ثم أتى على قوم على إقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأغنام يأكلون الضريع (الشوك اليابس) والزقوم (ثمر شجر كريه الطعم) ورضف (الحجارة المحماة) جهنم قال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم، وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد.

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ولحم نيئ، خبيث في قدر، فجعلوا يأكلون من النيئ الخبيث، ويدعون النضيج، فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال جبريل: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة، فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً، فتأتي رجلاً خبيثاً، فتبيت عنده حتى تصبح، ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاهم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة يقولون ما لا يفعلون).

وبعد أن وصل الرسول إلى بيت المقدس يقول عن براقه كما ذكر ثابت البناني عن أنس بن مالك كما جاء في صحيح مسلم:

(فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء.. ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل: اخترت الفطرة).

وتقول بعض الروايات أنه بعد أن وصل صلى الله عليه وسلم إلى المسجد في بيت المقدس صلى هو وجبريل ركعتين وبعدئذ نزلت الملائكة من السماء وحضر الأنبياء والمرسلون للبشرية جميعاً.. فتقدم محمد صلى الله عليه وسلم فأم بهم الصلاة.. ثم بدأ المعراج إلى السماء.

وفي روايات أخرى: إن إمامته في الصلاة للملائكة والرسل والأنبياء كانت بعد عودته من المعراج.

وعن مالك: أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وصل إلى السماء الدنيا: قيل من هذا؟ قال جبريل قال: ومن معك؟ قيل: محمد.. فأتيت على آدم فسلمت عليه.. فقال مرحباً بك من ابن ونبي.. فأتينا السماء الثانية.. فأتيت على عيسى ويحيي فقالا: مرحباً بك من أخ ونبي.. فأتينا السماء الثالثة فأتيت يوسف، فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخ ونبي.. فأتينا السماء الرابعة.. فأتيت على إدريس فسلمت عليه فقال: مرحباً بك من أخ ونبي.. فأتينا السماء الخامسة: فأتينا على هارون فسلمت عليه فقال: مرحباً بك من أخ ونبي.. فأتينا السماء السادسة: فأتيت على موسى فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخ ونبي.. فأتينا على إبراهيم فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخ ونبي... إلخ.

ثم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : فرفع إلى البيت المعمور فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه سبعون ألف ملك يتعبدون فيه ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، ورفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كآذان الفيلة.

ثم بعد ذلك على ضوء الروايات صحيحها وحسنها - عرج به إلى العلي القدير سبحانه وتعالى، فدنا منه، فأوحى عز وجل إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مر بموسى، فقال له: بم أمرت؟ قال بخمسين صلاة، قال: أن أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فأساله التخفيف لأمتك، فالتفت إلى جبريل، كأنه يستشيره في ذلك فأشار إليه أن نعم إن شئت، فرجع صلوات الله عليه إلى ربه، فوضع عنه عشراً، فقال موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف.

فظل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل حتى جعلها خمساً، فطلب منه موسى الرجوع، وسؤال التخفيف، فقال عليه الصلاة والسلام، قد استحييت من ربي، ولكن أرضى وأسلم فلما بعد نادى مناد: قد أمضيت فريضتي، وخفف عن عبادي، خمس في العدد، وخمسون في الأجر، ثم هبط إلى بيت القدس، وهبط معه الأنبياء، فصلى بهم لما حانت الصلاة. ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء.

إذن نحن أمام قصة تتركب عناصرها مما يلي:

أولاً: عملية جراحية من نوع ما.

ثانياً: الإسراء من مكة إلى بيت المقدس بطريقة عجيبة.

ثالثاً: المعراج من بيت المقدس إلى السماء بطريقة أعجب.

رابعاً: رؤى وحوادث مدهشة ثم العودة بذات الطريقة إلى مكة عبر بيت المقدس.

ولنحاول عزيزي القارئ، تناول كلا من هذه العناصر على حدة

بشيء من السرد المفصل لتلمس الاقتراب من بعض جوانب هذه المعجزة الكبرى، مقرين ومؤكدين قبل البدء في ذلك على عجزنا التام في إدراك ماهيتها أو الإحاطة بها، وأن غاية مبتغانا هو فقط الاقتراب من فهمها:

أولاً: قصة العملية الجراحية:

تؤكد لنا كتب السيرة، بأن هناك عدة روايات تذكر شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم وأن منها ما ينصب على ليلة الإسراء.. وهناك روايات أخرى تقول: أن هذه العملية أجريت له في أكثر من مرة، فمثلاً يقول الشيخ الدباغ في (الإبريز)، أنها حدثت ثلاث مرات، أولها " عند حليمة واستخرج منها حظ الشيطان وهو ما تقتضيه الذات الترابية من مخالفة الأمر واتباع الهوى.. وقد قيل في ذلك أن أخاه في الرضاعة، جاء يعدو لأبويه قائلاً عن محمد: ذلك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه (يقلبانه).

كما يقال: أن محمدًا قال لحليمة في ذلك: شقا بطني، فالتمسا فيه شيئاً لم أدر ما هو وثانيها: عند عشر سنين لنزع أصل الخواطر الرديئة منه وثالثها: عند النبوة.

ولكنّ كثيرًا من الباحثين، يترددون في تحديد التاريخ الذي حدثت فيه هذه العملية، فبعضهم يقول: أنها حدثت فيما بعد عندما كان عمره أربعين تقريباً.. وبعضهم يقول: أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن في حاجة إلى من يشق بطنه أو صدره، ما دام الله قد أعده من يوم خلقه لتلقي رسالته.. وبعض آخر يكذبها تماماً..

وفي الواقع أن قصة شق الصدر أو البحث عن القلب.. نجده في قصص القدامى منذ فجر التاريخ ففي كتاب الموتى مثلاً نجد أن موضوع القلب قد ذكر عدة مرات.. فقد كان قدماء المصريين يعتبرونه العضو الأساسي الذي تتوقف عليه حياة الشخص في العالم الآخر.

يقول أوزوريس نقلاً عن " كتاب الموتى " في التشفع لأحد الناس بعد موته:

(لقد استطاع أن يتمكن في أعضاء جسده، إن قلبه يطيعه فهو إذن ذو سيادة، إنه في جسده ولن يسقط أبداً).

وفي موضع آخر من الكتاب يقول أوزوريس: " ارجع أيها المبعوث من كل رب.. هل جئت لتأخذ قلبي هذا الذي ينبض بالحياة؟ ولكن قلبي الذي ينبض بالحياة لن يعطي لك. "

كما جاء في مقدمة كتاب الموتى أن كثيراً من البلاد الإفريقية كانت تعتقد في سحر القلب.. وفي إحدى اللوحات القديمة يقف الميت بجوار قلبه الموضوع على كرسي في حضور أربعة آلهة يجلسون على رمز الحق.. وعندما يعاد القلب إلى الميت يصبح سيداً لجسمه وأعضائه.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: " وقد وقع عند الطبراني في قصة تابوت بني إسرائيل أنه كان فيه الطست التي تغسل فيها قلوب الأنبياء.. ".

كما يجب ألا نغفل رأي بعض الباحثين، ومنهم بعض الروحانيين، ومنهم أ. د / على راضي رحمه الله، والذي نوجزه في

عدم استبعاد أن تكون المسألة كلها عبارة عن سوء فهم من الناس للألفاظ التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في تعبيره عن قصة الإسراء، فطست الذهب وماء زمزم ما هما إلا محاولة لإعلاء المعنى المقصود، فصنع الطست من الذهب أو من غيره، وكون الماء من زمزم أو من بئر غيرها لا يغير من الموضوع شيئاً، وكل هذا الوصف، إنما هو لتقريب فكرة معينة على مستوى عال للإعراب، وأن خلاصة الموضوع إنما تقصد توصيل الحكمة إلى القلب..

وأن القصة كلها يجب أن تفهم على أنها تعبير عن شيء روحي بألفاظ مادية.. ويستندون في ذلك إلى رواية أبي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: (فرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة، وإيماناً فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء).

وان بدء الحديث بجملة (فرج سقف بيتي)، أي شق السقف ونزل منه جبريل... إلخ، يؤكد أن هذا شيء لم يحدث على مستوى مادي بالطبع، فجبريل لا يحتاج إلى عمل فتحة في السقف لينزل منها لأن الأرواح ليست مادة، ويمكنها أن تخترق الحوائط، ولا يقف أمامها الصلب أو الجبال، وكل ما حدث هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في جهة السقف، وهذا ما كان يحدث لأخوته من الرسل والأنبياء، ويحدث أيضاً للأولياء والصالحين والوسطاء المتصلين بالأرواح، ويتمتعون بوساطة الجلاء البصري.. فهم أحياناً يرونها قادمة من السقف أو من الحائط المقابل أو من الباب أو من

خلال صخور الجبال... إلخ، مما يترتب عليه أن السقف لم يشق، وبالتالي الصدر الفيزيقي للرسول صلى الله عليه وسلم لم يشق والتعبير الأول ينطبق على التعبير الثاني.

وهنا يدور التساؤل عن استحالة إجراء العملية من عدمه.. وإن كنا قد أوردنا الأسباب التي تقلل من القناعة بحدوث شق مادي للصدر الفيزيقي للرسول صلى الله عليه وسلم.. فليس معنى ذلك أننا لا نصدق بإمكانية جبريل عليه السلام أو حتى غيره من الأرواح بعمليات جراحية لمن يريدون من البشر.. فإن الذي قد يكذب بذلك هم الماديون الخارقون في مادياتهم.. فلقد أكد علم الروح الحديث على وجود أسس حديثة الآن لعلم " الباراسيكولوجي " والعلاج الروحي بما فيه من إجراء عمليات جراحية.. وأصبحت مراكز العلاج الروحي، معتمدة علمياً على مستوى كافة الدولة المتقدمة وخاصة في الولايات المتحدة وأوروبا.

وفي رأينا أن هذه القصة يجب أن تفهم على أنها تعبير عن شيء روحي.. وأن العملية وقعت بالجسم الأثيري للرسول صلى الله عليه وسلم، ولم تكن في جسمه المادي.. وأن كان حدث الرسول صلى الله عليه وسلم بعملية الشق من الرقبة إلى البطن فلأن هذه هي اللغة التي يفهمها آنذاك قومه، لأنهم لا يعلمون شيئاً عن العمليات الروحية، ولا عن عملية الإسراء ذاتها إذا حدثهم عنها على حقيقتها.

أما هدف تلك العملية الروحية، فقد يمكن تفسير ذلك على ضوء ما قدمناه من قبل عن تأثير الغدد (الضفائر)، وأن بجسم الإنسان سبع مراكز أثيرية تنصب فيها القوى الحيوية، وبالتالي إلى الضفائر المناظرة لها في الجسم الفيزيقي (الغدد)، وأن هذه المراكز تسمى

بلغة الهنود (شاكرا) أي عجلة النار، وفيها تتولد (برانا) أي الطاقة الحيوية التي تصلها من الطاقة الكونية العامة.. **وأن هذه المراكز أو العجلات تقع الأولى منها عند قاعدة سلسلة الظهر، وتهيمن على عملية الإخراج وهي تحتوي على الطاقة السرية النائمة المسماة (كوندالين).**

والعجلة الثانية: موضعها عند منطقة الطحال.. وتهيمن على الرغبات الجنسية، وتناظر الضفيرة فوق المعدية في الجسم الفيزيقي.

والعجلة الثالثة: موضعها منطقة السرة، وهي تهيمن على الجهاز الهضمي وتناظر الضفيرة الشمسية.. ويقول علماء الروح الحديث: إن هذه العجلة مع العجلة الثانية المذكورة، بأعلاه مسؤولتان عن وساطة الطرح الروحي.

والعجلة الرابعة: موضعها عند منطقة القلب، وهي تهيمن على عملية التنفس (الحياة) وتناظر الضفيرة القلبية في الجسم الفيزيقي.. ويوجد في القلب ما يعرف بالبذرة.. ويتفق علماء الروح بأن في هذه البذرة توجد صورة مصغرة للإنسان نفسه، وأن جسده ما هو إلا نسخة مكبرة من هذه البذرة.. كما يؤكدون أن هذه البذرة هي الحلقة بين الشخص ونفسه، أي أنها تربط الحبل الفضي (الذي يربط الجسم الفيزيقي بالجسم الأثيري) بالقلب وعند الموت تغادر هذه البذرة القلب.

والعجلة الخامسة: موضعها منطقة الرقبة وهي تهيمن على الكلام وتناظر الضفيرة البلعومية (الغدة الدرقية).

والعجلة السادسة: موضعها منطقة الجبهة بين الحاجبين وتسمى العين الثالثة (الغدة الصنوبرية).. وهي مركز الموهبة المعروفة باسم الجلاء البصري.

والعجلة السابعة: موضعها الرأس، وتناظرها الطبقة السحائية في المخ.. أو الغدة النخامية التي تعتبر مركزاً للعقل وسيدة الغدد الأخرى في الجسم.

ويقول العالم أديليد جاردنر في كتابه: (**العلاج المغناطيسي الحيوي**):

إن حالة العجلات يمكن رؤيتها بالجلاء البصري أو اللمس كما يمكن إثبات أن لها تأثيراً مباشراً على الغدد الصماء في مناطق تأثيرها، وأن العلاج المغناطيسي أو التأثير السيكولوجي الذي يحدث العجلات يمكنه أن يغير عمل الغدد المتعلقة بها ويستطرد قائلاً: " أن العجلات (المراكز الأثيرية) هي التي تتغير أولاً، أما تغيير الجسم فيأتي بعد ذلك ".

وعلى ضوء ذلك يمكن القول أن الملاك الذي جاء النبي صلى الله عليه وسلم قد أجرى عملية جراحية لشحذ لعجلات.. وإطلاق الطاقة الروحية في القنوات الصحيحة ليبلغ الاستعداد الروحي مداه.. ويمكن للجسم الأثيري أن ينفصل تماماً أثناء عملية الطرح.. ومثل هذه العمليات الروحية التي يتم فيها شق الصدر أو البطن أو خلافها من أجزاء لا يسيل فيها دم ولا يحدث فيها ألم ولا يترك لها أثر.. وذلك يظل الجسم كما كان قبل العملية من الوجهة الظاهرية. وقد تتضح صحة نظرية تقوية الغدد التي في الجسم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه عن مضغة القلب: " إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ". فيرجح أن العملية الروحية تناولت هذه المضغة أي غدة القلب..

يقول الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين): إن قلب الإنسان هو روحه:

(القلب: هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العارف من الإنسان وهو المخاطب والعاتب والمعاتب والمطالب..)

ومن الأمثلة التي تشير إلى إمكان تغيير بعض خصائص الجسم الأثيري للإنسان تأثراً بالغدد وأي عملية تغيير أو جراحة فيها.

يقول الشيخ الدباغ في كتاب (الإبريز) أن الصحابي عمران بن حصين الخذاعي ☺ كان يشاهد الملائكة ويسلمون عليه.. فلما اكتوى انقطعوا عنه خزاعة.. وواضح هنا أن الكي هنا قد أثر على إحدى الغدد التي كانت تكسبه الوساطة الروحية.

ولقد نشرت صحيفة السيك أوبزرفر عام 1963 عدة مقالات للكولونيل باول الكاتب الروحي الشهير نوجزها في أن صديقه الدكتور وود من ممفيس بالولايات المتحدة له موهبة الطرح الروحي، وأنه كان يتمتع أيضاً بالجلاء البصري، ويكشف على المرضى في المستشفى بعينه بدلاً من أشعة إكس، وأن الأطباء شهدوا له بصحة ما يقول، وحدث بعد ذلك أن أجريت له عملية لاستئصال قطعة من زجاج كانت بقرب الغدة الصنوبرية (بين العينين) وبعدئذ نقصت موهبة الجلاء البصري عما كانت عليه.. ويقول باول: أن هذه الحالة عكس حالة شخص يدعى لوبسانج رامبا الذي أجريت له عملية في جبهته كان من أثرها أنه أصبح يتمتع بالجلاء البصري.

وجاء في كتاب التجسد لمؤلفه الشهير هاري بودنجتن:

لقد قال روح طبيب عبارة في غاية الأهمية وذلك خلال الوسيطة الشهيرة " كاتين جوليهر " لقد قال: " بأن كان يستخرج جسيماً مادياً صغيراً من داخل أعصابها ".. ولما سئل عن سبب ذلك أجاب: أنه لتسهيل اتصال عقل الروح إليها أثناء عملية التجسد ".

ونشرت مجلة عالم الروح (نوفمبر 1958) كيف تحدث العالم السويدي والوسيط الشهير سويدنبرج (صاحب مؤلف الجنة والنار الشهير) بعد أول رؤيا له عن مادة تشبه بخار الماء.. تفرزت من مسامه وسقطت على الأرض، وأن اعتقاده كان أنها خرجت منه لتطهيره من الفساد الناتج من الغذاء الأرضي الذي لا يتناسب مع أهل السماء.

وهذه القصة الأخيرة وخروج شبه بخار من الجسم يذكرنا بإصلاح هالة الإنسان أثناء العلاج الروحي إذ تتحول المناطق المظلمة فيها إلى مناطق مضيئة.. وتزداد المناطق المضيئة فيها لألأة وإضاءة.. وهذا شيء أصبح معروفاً الآن في جميع الدوائر الروحية بالدول المتقدمة..

وعلى هذا ربما يكون المقصود أيضاً بالعملية هو تهيئة هالة الرسول صلى الله عليه وسلم عند بداية اكتسابه لصفات النبوة وشاء المولى عز وجل زيادة الفتح عليه.

وفي هذا يقول الشيخ الدباغ في كتاب (الإبريز): إنه يزال عن المفتوح عليه شيء شبه السلخ الأسود وهو الظلام المحيط بالذات كلها، فإذا زال ذلك السلخ صب على الذات نور الفتح

وهو كبكبة عظيمة يؤتى بها من شاء الله من الملائكة وقوم آخرون يشتغلون بزوال السلخ، والملائكة حاملة للسر، وبنفس زوال السلخ تضع الملائكة النور في الذات.

ويقول العالم الدكتور على راضي في كتابه " الروحية والدين " :

(وإذا كنا نسمع الآن عن الاستعدادات الضخمة التي تجري في كل مرة يحاول أحد رواد الفضاء السفر إلى خارج نطاق الأرض.. وكيف يفحصه الأطباء المتعددون، ويضعون له مختلف الأجهزة المساعدة له على تحمل متاعب السفر في الفضاء.. فمن اليسير على القارئ إذن أن يفهم سر تلك العملية الجراحية التي تمت للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة إسرائه إلى بيت المقدس ثم عروجه إلى السماء.. والسفر إلى السماء يختلف كلية عن السفر للفضاء إذ يحتاج لقوة روحية يتغلب بها صاحبها على الظروف المقاومة لارتفاعه، وقد تكون هذه القوى طبيعية، وقد تكون نتيجة لوجود مخلوقات شيطانية أو إشعاعات نووية أو غير بشرية في طريق عروجه، هذا ومن المعلوم أن الطرح الروحي خطير العاقبة إلا لمن تجهز له من قبل إذ يكون الجسم الفيزيقي في حالة حرجة حتى تعود إليه الروح ثانية، كما أن الروح لا يمكنها الانتقال إلى طبقات عليا إلا إذا كانت معدة إعداداً كاملاً لذلك، فكانت العملية ليلة الإسراء إذن شيئاً علمياً ضرورياً لإتمام التجربة.

أما لماذا كان القلب هو المختص بتلك العملية فهذا راجع إلى أن اتصال الروح يكون عند القلب، لذا يتحتم أن يكون قوياً لتحمل أي صدمة قد تنشأ أثناء خروج الروح مؤقتاً أثناء

عملية الطرح. وفي جميع الكتب التي تتكلم عن الوساطة الروحية نجد أنها تمنع ضعاف القلوب عن ممارسة وساطة الطرح الروحي خوفاً عليهم ونحن نجد أن قصة الإسراء حدثت في بداية بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وقبل إتمام رسالته، فكان من الضروري إذن زيادة قوة القلب تيسيراً لوساطة الطرح الروحي).

هذا وقد يلفت نظرنا ما قاله العالم السويدي سويدنبرج في كتابه الشهير (الجنة والنار) من أن السماء تحوى مملكة الفردوس ومملكة الروح وأن مملكة الفردوس تناظر القلب وما يتعلق به في الجسم ومملكة الروح تناظر الرئتين وما يتعلق بهما في الجسم.

وعلى أية حال فلقد كان شق صدر الرسول وغسل قلبه في رأينا أمراً معنوياً حتمياً تمهيداً للعروج به في السماء.. وفق قواعد الناموس التي أرساها الخالق العظيم العلي القدير سبحانه وتعالى في كونه.

* * *

ثانياً: الإسراء " قصة السفر "

يقول صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر الأسبق عبد الرحمن تـــاج " من كتاب الإسلام انطلاق لا جمود "، " للأستاذ مصطفى الرافعي ":

ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الأمين، قد حدث صبيحة الليلة التي كان فيها الإسراء أنه أسرى به في تلك الليلة من مكة إلى بيت المقدس حيث المسجد الأقصى، وأنه قد عاد من ليلته إلى مكة، وأن أول من حدثهم بذلك " أم هانئ " بنت عمه أبي طالب، فعجبت لهذا الأمر العظيم، ونصحت له ألا يحدث به الأقوام من كفار قريش حتى لا يكذبوه، لكنه عليه الصلاة والسلام لم يستمع لها، وخرج إلى المسجد وجلس إلى جوار الكعبة، فمر به أبو جهل، وهو ممعن في تفكيره،فقال له هل من خبر؟ قال صلى الله عليه وسلم :♂**إني أسرى بي الليلة إلى بيت المقدس**═.

قال: إلى بيت المقدس؟ **قال** صلى الله عليه وسلم :♂**نعم**═.

قال أبو جهل: أرأيت أن دعوت قومك لك تخبرهم بما أخبرتني به.

قال صلى الله عليه وسلم :♂**نعم**═.

فنادى أبو جهل: هيا يا معشر قريش، فاجتمعوا من أنديتهم وقال للرسول صلى الله عليه وسلم: أخبر قومك بما أخبرتني، فقص عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قد ذهب إلى بيت المقدس تلك الليلة وصلى فيه، فأخذوا يصفرون ويصفقون تكذيباً له واستبعاداً

لخبره.

وانتشر خبر ذلك في مكة، وذهب الناس إلى أبي بكر يخبرونه الخبر **فقال لهم**: أنكم تكذبون عليه.

فقالوا: والله إنه ليقوله.

فقال: إن كان قد قال فقد صدق.

قالوا: تصدقه على ذلك؟

قال: إني أصدقه على أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحه.

ثم جاء إلى رسول صلى الله عليه وسلم وحوله مشركو قريش يسألونه ويستنعتونه صفات بيت المقدس وأحواله، وكان فيهم من رأى بيت المقدس من قبل، وعرف شيئاً من معالمه وصفاته.

قال النبي صلى الله عليه وسلم :♂**فجعلت أخبرهم عن آياته، فالتبس على بعض الشيء، فجعل الله لي بيت المقدس، حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنعته لهم**ـــ.

فقالوا: أما النعت فقد أصاب. ثم قالوا: أخبرنا عن عيرنا فهي أهم إلينا.. وهل لقيت منها شيئاً؟

قال صلى الله عليه وسلم :♂**نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء. وقد أضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء، فعطشت وأخذت وشربته ووضعته كما كان، فاسألوا: هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا**ـــ. قالوا: هذه آية.

قال صلى الله عليه وسلم :♂**ومررت بعير بني فلان، وفلان وفلان**

راكبان قعوداً، فنفر بعيرهما مني فانكسر، فاسألوهما عن ذلك.

قالوا: هذه آية أخرى.

ثم سألوه عن العدة والأحمال والهيئات، فمثلت له العير، فأخبرهم عن كل ذلك، وقال صلى الله عليه وسلم: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس وفيها فلان وفلان ويقدمها جمل أورق عليه غراراتان مخيطتان.

قالوا: هذه آية أخرى.

فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية وجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس ليكذبوه، إذ قال قائل: هذه الشمس قد طلعت. وقال آخر: هذه العير قد أقبلت، يقدمها بعير أروق، فيها فلان وفلان كما قال محمد.. لكنهم لم يؤمنوا وقالوا: هذا سحر مبين.

حتى نزلت في ذلك آية قرآنية فيما بعد يقول فيها الله جلا وعلا: {وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ} [الإسراء: ٦٠].

وقد نود هنا أيضاً أن تقف مما تقدم عند عدة أمور جديرة بالنظر والاعتبار.

الأمر الأول: ما كان من المشركين من اللجاجة في الجدال، والإلحاف في السؤال عن العير وعدتها وأحمالها، وعن صفات بيت المقدس، دقيقها وخفيها وجليها.. ولم تكن أسئلة أنصاف ومنطق عاقل يقصد بها تعرف الحقيقة وإنما كانت أسئلة عناد ومشاغبة، يراد بها إظهار الرسول صلى الله عليه وسلم بمظهر العاجز عن إجاباتهم إلى بعض ما سألوه ليكذبوه فيما أخبر به، ولكن الله عز وجل أراد ألا يصلوا إلى غايتهم في تكذيب الرسول أو إظهاره بمظهر العاجز

فكشف لرسوله عن المواقع والمعالم. لما التبس عليه بعض الشيء مما سألوا عنه، وجلي له بيت المقدس حتى كان ينظر إليه أقرب من دار عقيل، فجعل ينعته لهم ويستملى إجاباته من مشاهداته، يسدد طعنات في صدورهم، وغماً وكمداً في أفئدتهم.

وفي رأينا أن هذا إعجاز لا يقل عن إعجاز الإسراء يحوي مواهب روحية عظيمة أنعم بها الخالق العظيم العلي القدير على صلى الله عليه وسلم وسلم ليظهره عليهم. وليظل دائماً وأبداً لدى أتباعه وأمته والإنسانية جمعاء بما فيها خصومة وخصوم دعوته ورسالته الرسول الصادق الأمين.

الأمر الثاني: أن هناك بعض الباحثين لازالوا يتمسكون بأن الإسراء كان بالروح استناداً إلى بعض الروايات كرواية السيدة عائشة ♥ التي ردها الحفاظ، وقالوا: إنها غير صحيحة من وجوه عدة وكرواية شريك ابن أبي نمر التي طعن فيها الحفاظ أيضاً، أما البعض الآخر الذي يستند إلى وجوب معرفة المقبول والمردود والصحيح والضعيف، والجمع بين الروايات المختلفة إذا أمكن الجمع، وترجيح الراجح وإسقاط المرجوح إذا تعذر التوفيق يؤكدون على أن الذوق السليم لا يقبل بأن الإسراء كان بالروح فقط بعد قول الله تبارك وتعالى:

{سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [الإسراء: ١].

لأن الآية الكريمة قد افتتحت بسبحان المقر باستعظام ما كان من الأمر، والتعجيب منه لجلاله، وأن ذلك لا يصح موقعه، ولا يتناسب

وبلاغة القرآن الكريم إلا إذا كان الأمر غير معهود، ولا مقدور لأحد من الناس، لو كان الإسراء بالروح فقط لم يكن ثمة ما يقتضي هذا الاستعظام وذلك التعجيب، إذ لا عجب في إرادة النبي صلى الله عليه وسلم آيات ربه في نومه فإن هذا أمر يقع حتى لغير الرسل والأنبياء من المؤمنين والصالحين. وإنما وجه الاستعظام والتعجب لو قلنا أن ذلك الإسراء كان بالجسد والروح، كما هو ظاهر لكل ذي عقل سليم.

ثم أن قول الله تعالى وتبارك " أسرى " لا يقال في النوم، لأن ما يقع في النوم، إنما هو تخييل وضرب مثل لا غير، ولا يحسن أن يعبر عن ذلك بأنه أسرى به، وإنما يحسن ذلك إذا أسرى به ليلاً إسراء حسياً على ما معهود ومعروف.

وقول الله عز وجل " بعبده " هو نص قاطع في الموضوع، لأن العبد لا يطلق فيما تعرفه العرب إلا على الشخص المكون من الروح والجسد، ولم يعهد في لغة العرب إطلاقه على الروح فقط، فهم لا يعرفون من العبد إلا الشخص المحسوس المتطور كما في قوله جل وعلا:{أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠} [العلق: ٩ - ١٠]، وقوله سبحانه وتعالى:{وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ} [الجن: ١٩]، إلى غير ذلك.

وأنه جاء في القصة أيضاً ما هو قاطع في الموضوع، وهو أنهم عندما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن عيرهم التي كانت فيها تجارتهم فأجابهم بأنه مر بها وقد فر منها بعير فانكسر، وأنه مر بعيرٍ أخرى قد ضلوا ناقة لهم وكان معهم قدح من الماء فشربه صلى الله عليه وسلم وقد سألوهم عندما قدموا إلى مكة فصدقوا ذلك كله.

وأن في القصة أكثر من هذا فيما يتعلق بشرب الماء من القدح وسؤاله صلى الله عليه وسلم عن عيرهم وبيت المقدس وأبوابه وكل ما يتعلق به يستحيل معه أن تكون استفساراتهم وأسئلتهم تدور حول رؤيا منامية.. إذ لا علاقة بين عيرهم القادمة من الشام وبين رؤيا الرسول إذا كانت منامية.. ثم أي معنى لقصة قدح الماء إذا كانت الرؤيا منامية.. ويخلصون من ذلك أنه لو كان الإسراء حلماً أو رؤيا منامية ما كانت فيه آية ولا معجزة.

الأمر الثالث: أن هناك تصويراً علمياً من بعض الباحثين على الصورة المادية المنطقية التالية:

إن المسافة بين البيت الحرام وبيت المقدس بفلسطين تقرب من 1500 كم ومثلها للعودة يقطعها الراجل في ثلاثة شهور والإبل في نحو شهرين والسيارات في أسبوع والطائرات في حوالي ساعتين.. ولم يكن في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لمثل هذه المسافات سوى الجمال فلابد من معجزة، والله سبحانه وتعالى يدعونا أن نفقه من أسرار الوجود ما نستطيع في أرض وسماوات في مادة وحياة.

قال تعالى:{ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١} [يونس: ١٠١].

ويقول جل شأنه:{ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ١٨٥} [الأعراف: ١٨٥].

أما عباد الرحمن الكرام فأولئك الذي جاء في وصفهم:{وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ٧٣} [الفرقان: ٧٣].

واستجابة لأمر الله العظيم فإنه يلزم استهداء حكمته العالية في فهم آية من آيات ربنا الكبرى عن بصيرة ويقين.

إن معجزة الإسراء في هذا المدى برسول الله جسداً وروحاً أمر يقبله العلم الحديث.. حيث يسلم بجوار قطع هذه المسافة بهذه السرعة دون خطر على الجسد الحي، وطائراته اليوم وصواريخه تقطع بالإنسان ما هو أبعد من ذلك، إن قيل: أن رسول الله ركب البراق فانطلق به، واكتفى العلم الحديث بهذا الانطلاق، وإن كان لا يعرف البراق.

الأمر الرابع: يتأكد تماماً مما تقدم أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد سافر فعلاً إلى بيت المقدس وليست المسألة مجرد حلم. وأن الجدل الدائر هو فقط حول ما إذا كان السفر بالجسد والروح معاً، أم بالروح فقط. وهي مشكلة حيرت قريشاً آنذاك وجعلت منهم المكذب ومنهم المصدق لرسول الله... الذي أصر على أن يحدثهم بما رأى ويثبت التجربة التي حدثت له في صفحات التاريخ.. وهي تجربة روحية عظيمة لا ريب من عديد التجارب الروحية التي وقعت له صلى الله عليه وسلم.. والتي تبرهن على وجود الأساس الروحي للرسالة التي كلف بها.

ومن رواية الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفسه لم يقطع بكيفية الإسراء والمعراج به روحاً أم جسداً وروحاً.. وإن كانت تشير معاني كلماته إلى الإسراء بالروح والجسد.

وفي رأينا أن صلوات الله وسلامه عليه لم يقطع بذلك لسببين رئيسيين:

أولهما: أن مدارك قومه آنذاك لم تكن لتستوعب أو تعي ما كان سيقوله لهم أو يشرحه.

وثانيهما: أن اختلاف الآراء والحجج في كيفية إسراء النبي ومعراجه.. على مر الأجيال والعصور.. وحتى الآن هو ظاهرة صحة إيجابية.. فهي بجانب أنها تؤكد على دوام الأحياء لذكرى هذه المعجزة العظيمة التي أنعم بها العلي القدير على رسوله الكريم بالتسبيح والتهليل والتكبير واستمرار الحوار تفصيلاً حولها.. فإنها تؤكد أيضاً على احتضان عظمة الإسلام وشموله للعلم وإعمال الفكر والتأمل.. وأن من يملك علماً أكثر يملك حجة أكبر.

لقد كان في رأينا لزاماً علينا أن نتعرض لتلكم الأمور الأربعة قبل أن نتكلم عن إمكانية حدوث الإسراء سواء بالروح أو الروح والجسد ولكن بعد أن تعرف شيئاً عن ظاهرة الطرح الروحي.

الطرح الروحي:

ينادي علم الروح الحديث الآن بأن الإنسان يتكون من عدة أجسام:

1) **الجسم الفيزيقي.**
2) **الجسم النجمي.**
3) **الجسم الروحي.**
4) **الجسم الحيوي.**
5) **العقل الروحي.**
6) **الهالة.**
7) **العقل الغريزي.**

وأن في هذه الأجسام جسمين متطابقين تماماً هما الجسم المادي (الفيزيقي) والجسم النجمي والذي قد يسمى بأسماء أخرى كالأثيري

والروحي.. إلخ.

وعند النوم أو في اليقظة سواء كان إرادياً أو غير إرادياً يمكن للإنسان أن يطرح هذا الجسم النجمي الذي هو ذاته الحقيقية تقريباً إلى أي مكان في الأرض أو في العالم النجمي، ويمكن للجسم النجمي أن يقوم بأعمال مادية تماماً مثل الجسم الفيزيقي، كما يمكن للغير أن يشاهدوه أثناء رحلته، ويعتقدون أنه الإنسان ذاته لأنه يحمل صفاته بالضبط ولا يدركون أن هذا الإنسان مازال يرقد نائماً أو متخشباً في مكان ما.

يقول الشيخ الجيلاني في كتاب (الإنسان الكامل) عن التجلي **(وهو المرادف للوساطات عند الروحانيين)**: ومن هذا التجلي المشي على الماء والطيران في الهواء.

ولقد وضع العالم هيكتور درفيل في فرنسا كتابه الشهير (الجسم الأثيري للأحياء) جاء فيه:

1) إن طرح الجسم الرقيق حقيقة واقعة يمكن عرضها بتجربة مباشرة، وهذه تثبت أيضاً أن القوة الحية مستقلة عن المادة، وأن الفرد مكون من جسم فيزيقي ونفس روحية ذكية.

2) من حيث أن الجسم النجمي يمكنه أن يوجد ويتصرف بعيداً عن لجسم الفيزيقي، فإنه قد يوجد أيضاً بعد الموت. وهذا معناه أن الخلود هو حقيقة مبرهنة علمياً.

ويقول العالم هوراس ليف في كتابه عن " الطرح الروحي " ما يلي:

" يجد بعض الناس أنفسهم خارج الجسم الفيزيقي دون أن يعلموا كيف حدث ذلك، كما يدرك آخرون كيفية خروجهم من جسمهم

ووصفوا تلك الكيفية بالتفصيل، ففي أحوال يبدو لهم كأنهم ارتفعوا بطريقة يفهم منها أن الجسم الأثيري قد ترك الجسم الفيزيقي من جميع أجزائه في لحظة واحدة.. وقد يخرج بعضهم من خلال رأس الجسم الفيزيقي وقد يخرج البعض عن طريق القدمين، وأحياناً يخرجون على هيئة سحابة هلامية ثم يتخذون الشكل الطبيعي فجأة أو بالتدريج وتكون الضفيرة الشمسية (السرة) مركز خروج هذه السحابة ".

ثم يستمر في قوله: " من الممكن للإنسان أن يسافر بجسمه الأثيري بعدة طرق أهمها المشي والطيران. كما أن هناك طريقة لا يمكن التعبير عنها إلا بقولنا أن الشخص يجد نفسه فجأة في مكان بعيد بدون أن يعرف الوسيلة التي انتقل بها. وكل الذين يطرحون يتفقون في أن الطريقة الأكثر عموماً للانتقال هي الطيران المبني على تأثير الرغبة عندئذ يمكن للشخص أن يتحرك في الفضاء دون أية مقاومة. وقد لا يدرك المرء جيداً الاتجاه الذي يرغب الانتقال فيه ومع ذلك يجد نفسه في المكان الصحيح ".

ويفسر ذلك هوراس ليف في كتابه (ما هي الوساطة) عند حديثه عن الطرح الروحي:

" والشعور ببداية الطرح عبارة عن شعور بسقوط الإنسان إلى أسفل أو اندفاعه إلى الأمام والخلف أو الجانب.. والأغلب هو الشعور بارتفاع فوق الجسد الفيزيقي وكثير من التلاميذ يقولون: أنهم يشعرون بأنهم يسبحون في الهواء قرب السقف. وهذه الإحساسات رديئة ونادراً ما يصحبها خوف ".

ويمكننا أن نقسم موضوع الطرح إلى نوعين: طرح الروح فقط وطرح الروح والجسد معاً:

1) **طرح الروح فقط: وهذا يمكن تقسيمه بدوره إلى نوعين:**

أ) **يمكن للمطروح أن يترك جسده وينتقل بروحه إلى مكان آخر:**

يقول شورز موند الكاتب والوسيط الروحي الشهير في كتابه (خواطري في العلوم الباطنية):

(كانت لي صديقة تدعى مسز داوسون سكوت الروائية ومؤسسة نادي القلم الدولي المعروف، عملنا سوياً كثيراً من التجارب والاستكشافات الروحية، ولم تكن هي زارت أبداً منزلي في بلدة توكينهام، بل لم تكن تعرف أي شيء عن وصفه أو محتوياته، هذه السيدة في ليلة 21 من فبراير 1943 وفي الساعة التاسعة مساءً وهي في حالة يقظة تامة في منزلها بلندن وعلى بعد عدة أميال مني وجدت نفسها وبدون استعداد داخل غرفتي الكبيرة في منزلي، رأتني عندئذ بوضوح وسمعتني وأنا واقف في تلك الحجرة.. ووصفت لي بعد ذلك مواضع قطع الأثاث والنوافذ والنوافذ الطويلة المؤدية إلى الحديقة ووصفت المدفأة الفريدة التي عندي، وقالت: كانت رؤية اللهب مضحكة.. وراقبتني بعض الوقت، وأنا أقف أمام المنضدة، ثم كتبت بكل هذا بعد الزيارة مباشرة، وفي الواقع قد كنت في تلك الغرفة تحت نفس الظروف وفي نفس الساعة ووحدي فقط كما جاء في وصفها!).

وجاء في كتاب (طرح الجسم النجمي) لمؤلفيه ملدون وكارنجتون حوادث طريفة تثبت أن الجسم الروحي عندما يطرح

يمكنه أن يقوم بأعمال مادية صرفة قد يظن الكثيرون أنه يستحيل عملها إلا بجسم فيزيقي: ففي إحدى التجارب حاول ملدون أن يطرح نفسه ويتحرك بجسمه النجمي ويصعد درجات السلم حيث تنام والدته ثم يشد من تحتها المرتبة عدة مرات. ويقول بلسانه واصفاً مدى تذكره لما قام به:

" كنت واعياً تماماً كما لو كنت في جسمي الفيزيقي " ثم يصف كيف قابل والدته بعد تيقظه: ناديت على أمي فأسرعت تنزل السلم وهي جد منفعلة بحيث نسيت إني لست في فراشي، وإني راقد على الأرض، وبدأت تخبرني كيف أن الأرواح شدت من تحتها المرتبة ودفعتها من الفراش ".

وفي مرة أخرى طرح جسمه النجمي وأمكنه بوساطة هذا الجسم أن يمسك مطرقة ويدق بها صهريج بترول موجود في المنزل ويسمع الدقات القوية، فيصحو من نومه بسبب قوتها، ويشهد معه أناس أنهم سمعوا نفس الدقات أو كما يقول: " وظللت أسمع رئين الدقات بعد أن أصبحت في تمام اليقظة، وشهد ثلاثة رجال آخرون بأنهم سمعوا الطرقات على الصهريج، وقال كل واحد منهم أنها كانت تماماً من فعل من دق عليها بمطرقة وأنهم دهشوا تماماً لعدم رؤيتهم لأحد بقربها ".

ب) يمكن للمطروح أن يترك جسده ويتجسد في مكان آخر:

يقص الكاتب الألماني (ينج ستلنج) في كتاب (الجانب الليلي للطبيعة) تأليف مسز كرو قصة عجيبة عن أحد الوسطاء. وكان هذا الوسيط يعيش في منطقة فيلادلفيا بأمريكا. وحدث أن كانت هناك

زوجة قبطان أبحر بسفينته في رحلة إلى أوروبا وأفريقيا ولم تعرف أين هو وكانت قلقة عليه، فتوجهت لهذا الوسيط. وعندما استمع لقصتها استأذن منها، ووعدها أن يعود لها بالإجابة بعد قليل، ودخل على غرفة أخرى وتركها جالسة، ولما تأخر عليها بدأت تقلق وظنت أنه نسيها. فذهبت إلى الباب تنظر من الثقب فدهشت إذ وجدته نائماً على أريكة دون حراك كأنه ميت، فلم ترد أن توقظه وانتظرته حتى استيقظ وأخبرها بالأسباب التي أخرت زوجها عن الكتابة إليها، وقال لها: أنه قابله جالساً في مقهى بلندن، وأنه سوف يأتي لها قريباً، وبالفعل عاد إليها زوجها، وقد سألته زوجته، فأجابها بأن الأسباب صحيحة. وعندما جاءت بالوسيط ووقعت عينا زوجها عليه، فصعق واعترف بأنه رآه من قبل في يوم معين في إحدى مقاهي لندن، وقال له: أن زوجته قلقلة عليه وأنه وقتئذ قال له أسباب تأخيره عنها، وأنه سوف يسافر إلى أمريكا صبيحة اليوم التالي، وأن هذا الرجل اختفى عن نظره بعدئذ وسط الجمهور.

وجاء في كتاب (الطريق الصامت) لمؤلفه الميجور تيودور بول الذي عاش فترة في مصر إنه مرض يوماً بالحمى فجأة بحيث لم يستطع أن يطلب من خادمه أن ينادي له طبيباً، وبينما كان راقداً على الأريكة سمع طرقة على الباب، وكان الداخل شخصاً أدرك من منظره أنه طبيب إنجليزي.. ولكنه بدلاً من أن يرتدي ملابس خفيفة كالتي تستعمل في البلاد الحارة كان يرتدي ملابس إنجليزية ثقيلة.

يقول تيودور: " وحياني بلطف وشعرت جيداً بثقله عندما جلس على طرف الأريكة، واستنتجت أن المركز قد أرسله إلى ليرعاني.. فشكرته، ولكنه قال لي أنه قد جاء لي متأخراً، وبعد أن كشف على

نصحني بأن أطلب من أحد خدمي، أن يذهب إلى مسجد في القاهرة ويأتي من دكان عطار بجواره دواء أعطاني اسمه.. ونظرت إلى قبعته التي وضعها على منضدة صغيرة وكانت دهشتي عندما وجدت نفسي قادراً على النظر خلالها وعندئذ فقط جاءتني فكرة أن زائري ليس حاضر بجسده، وسألته عمن يكون ومن أين أتى. فأجابني بأنه طبيب له عيادة وأنه قد تعود منذ زمن على أن يغلق على نفسه غرفة الكشف لمدة ساعة كل مساء ويخلي ذهنه ويصلي سائلاً الله أن يرسل به إلى أي مكان يكون له فائدة هناك.. وبعد أن أكد لي أنني سوف أشفى قريباً، وقد تحقق ذلك ودعني وانصرف "..

ثم عاد تيودور إلى إنجلترا بعد أن شفي تماماً وأراد أن يفهم سر هذا الموضوع فذهب إلى محطة الإذاعة البريطانية فأذاعت وصفاً لم حدث وطلبت من الطبيب المذكور أن يتقدم إليها فاستجاب لها شخص، وكان طبيباً عاماً في إسكتلندا، واعترف بدوره في لذهاب إلى مصر ومعالجة الميجور المريض، والذي رجاه ألا يذيع اسمه حتى لا يطرد من سجل الأطباء.

ويروي الضابط البريطاني (جيلان هوبر) في مجلة فيت عدد أكتوبر سنة 1962 قصة عجيبة شاهدها بنفسه عندما كان يعمل ضابطاً بالجيش البريطاني في أفريقيا، فقد كلف يوماً للإشراف على إصلاح قطعة من الأرض للزراعة إلا أنه علم أن قافلة من الفيلة بدأت تشن عليها الهجوم، قابل شخصاً يدعى (نزيج)، وكان هذا معروفاً بالمواهب الروحية فعرض عليه الأخير اقتراحاً بألا يسافر إلى مكان الفيلة (لأني سوف أنظر في الأمر - أنظر فيه الآن)، وعندئذ نادى واحداً من أتباعه والذي كان يحمل صندوقاً صغيراً أخذ

منه بعض السعوط فتنشقه. وعندئذ تغيرت حالته كما لو كان قد أصيب بنوبة صرع، ثم انهار على الأرض وامتلأ فمه بالزبد، وقال تابعه: نزيج سوف يتركنا ويعود بعد قليل.. لا تنزعجوا، ثم تخشب جسم نزيج فغطاه التابع بجلد غر وجلس بجواره يرتقب بينما ظن البعض أنه مات لأنه لم يبد عليه أنه يتنفس، وظل نزيج هكذا حوالي ساعة ونصف وبعدها استيقظ. وكان قد أخذ معه قبل نومه شريحتين من اللحم طول كل منها حوالي 20 سم، ولكن لما صحا لم تكن هاتان القطعتان معه، وقام يقول للضابط: لا تهتم بعد الآن بمسألة الفيلة لقد عادت إلى المستنقعات ووصلت إلى الضفة الأخرى، ثم تكلم الضابط معه في موضوع جماعة ماو ماو الذين كانوا هم أيضاً يغيرون على المنطقة كل يوم، فوعده نزيج بالنظر في أمرهم أيضاً.

بعد ذلك سافر الضابط ورفاقه مسيرة ثلاثة أيام حتى وصل إلى مكان المستنقعات وما أن وصل هناك حتى قابله شخص، وقال له: لقد جئت متأخراً فمنذ أربع ليال جاء رجل مسن يعرفك وقال: إنه يسمى نزيج وأنه يريد طرد الفيلة، فاستعار طبلاً دق عليه بعض النغمات فابتعدت الفيلة، وذهبت من حيث أتت، كما أنه أعطاني قطعة من اللحم المجفف هذا.. ثم مد يده بقطعتين من اللحم طول كل منهما حوالي 20 سم، ثم وصف الرجل للضابط شكل نزيج فكان الوصف طبق الأصل مما هو عليه.

ثم يحكي الضابط بعد ذلك كيف أنه سافر للنظر في مسألة ماو ماو بقرب جزيرة تنجانيقا، ولما قابله ضابط البوليس هناك أخبره بنشاط ماو ماو من سلب وقتل للمواشي.. إلخ. وأنه يوم 15 ظهر شخص عجوز عجيب يشبه الساحر وقال إنه اسمه نزيج وأنه صديق

لك وأعطاني هذا كبرهان.

ثم مد ضابط البوليس يده بخاتم صغير ولما رآه الضابط جيلان دهش فقد كان خاتمه هو وكان لم يلاحظ غيابه من إصبعه منذ 15 يوم عندما كان جالساً مع نزيج حول النار وعلى بعد 300 ميل جنوباً.

وقد اعترف ضابط البوليس أن نزيج عندما قابل رؤساء القبائل وأنهم ظلوا يدقون الطبول، ويغنون أناشيد حتى ساعة مبكرة من الصباح.. وبعد ساعات قليلة كان جماعة ماو ماو، تتراجع نحو الشمال إلى كينيا.

ويختم الضابط جيلان قصته بقوله أنه لا يعرف كيف يفسر ما حدث أمامه.

وفي الواقع أن قصة نزيج هذه التي وقعت سنة 1953 طبقاً لما ورد في مجلة فيت، لا تبعد عن مجريات المواهب الروحية التي أودعها الله عز وجل في بعض الناس. فنحن هنا نجد رجلاً (الوسيط نزيج) يمكنه أن يذهب في غيبوبة بطريقة مختلفة وهي تعاطي السعوط.. ثم يطرح نفسه عبر مسافة بعيدة وهي مسيرة ثلاثة أيام ثم يتجسد هناك ويستعير طبلاً ويدق عليه فتسمعه الفيلة وتهرب.. وفي قصة ماو ماو نجده يطرح نفسه ثم يتجسد ويتكلم مع الزعماء.. ويعطي خاتماً لضابط البوليس هناك كبرهان على وصوله مع أن جسده الفيزيقي ملقي على بعد 300 ميل.. والقصة في مجملها تبرهن على أن الإنسان الموهوب روحياً يمكنه أن يحيا حياة طبيعية خارج جسده بصفة مؤقتة..

ومن أشهر التجارب التي أجريت، وأثبتت في هذا الموضوع تلك التجربة التي أجرتها مسز ماري فلاسك بالاشتراك مع دائرة روحية فيها مسز وب ومسز ألين، وقد جاء في كتاب العالم الدكتور أرثر ولز في وصف هذا الحادث ما يلي:

(علم أعضاء الجلسة بقدرة مسز فلاسك على إظهار نفسها بعد أن تترك جسدها فقد طلبوا منها أن تظهر نفسها في الجلسة التي تعقد مساء الاثنين 17 سبتمبر في دائرة مسز ألين للتجسد، وكانت مسز فلاسك في هذين اليومين في القطار المنطلق من توليدو إلى أوهيو ومع ذلك ظهرت في كاليفورنيا.. وبعد أن مرت بعملية الخروج من جسدها وجهت نفسها إلى دائرة مسز وب وبعد أن وصلت إلى الدائرة رأت مسز وب وزوجها وسيدة ورجلاً لا تعرفهما، كما شعرت بوجود آخرين في الحجرة قبل أن نتكلم خلال البوق لمست مسز وب أولاً على الرأس وثانياً على الكتف.. وبعدئذ أخذت البوق من طرفه الواسع وأمسكته بكلتا يديها وتكلمت فيه قائلة: أنا هنا ها أنا مسمز فلاسك، الجو حار في المكان الذي أنا فيه، أنا ما زلت في أريزونا).

(نامت مسز فلاسك الساعة 9.30 مساء الثلاثاء 28 من سبتمبر، وكان القطار وقتئذ في (أوتا) وبعد أن غادرت جسدها وجهت نفسها إلى دائرة مسز ألين " للتجسد " بلوس أنجلوس في كاليفورنيا. وعندما وصلت مسز فلاسك إلى الدائرة أدركت أنها قد تأخرت وأن الجلسة بدأت فبسرعة دخلت إلى المقصورة حيث كانت فيها وفوقها أرواح عدة، والأرواح التي كان عليها أن تتجسد وقفت على أرض المقصورة وعندئذ قالت لها الروح المشرفة على المقصورة وهي

فتاة صغيرة.. " نحن نرحب بك لمجيئك ولكنك مازلت على قيد الحياة. يمكنك أن تنتظري " عندئذ بدأت مسز فلاسك تظهر للوسيطة مسز ألين ووجدت أنها في غيبوبة وجسمها تخشب نصف جالسة ومستلقية في كرسيها).

(ثم أخذت ذبذبات زرقاء وسمراء وصبت في خلف رأس الوسيطة عندئذ بدأت مادة بيضاء في الخروج من ذقن الوسيطة ورقبتها وصدرها هذه المادة ذات الشكل المحدد أخذها الكيماوي الثالث (روح) ووضعها حول الروح التي سوف تتجسد..)

(أثناء ذلك كانت مسز فلاسك في المقصورة، ولم تكن قد وضعت قدميها على الأرض بعد، وعندما أخذ الجالسون في غناء أغنية.. هل سنجتمع عند النهر؟ وضعت قدميها مباشرة على الأرض ووقفت أمام الكيماوي (روح) الذي قال لها: أنت مازلت على قيد الحياة. لا يمكنك الدخول، وسألها عن سبب رغبتها في التجسد فأجابت مسز فلاسك: أريد الظهور لأني أريد التعلم وآمل لهذا السبب في أن أنجح. عندئذ قال لها الكيماوي من هنا وأدارها بحيث أصبح ظهرها يواجهه وأخذ يصب المادة المسحوبة من الوسيطة عليها قائلاً: فكري في شعرك.. في عينيك.. في شكلك وفي ذراعيك وفي يديك وفي قدميك.. وبعدئذ وضع عليها مادة أخرى فتكون رداؤها وهذا كان من صنع الكيماوي وليس من فكرها هي وكان حقاً رداءاً جميلاً من الساتان الأبيض).

(وخرجت مسز فلاسك من خلال فتحة في الستار إلى الدائرة. وهنا حدث شيء عجيب.. فبدلاً من أن ترى الجالسين في الدائرة بدا أنها عمياء. حاولت بشدة لكي ترى وبعد لحظات جاءها البصر. فرأت أولاً الابنة الصغيرة للوسيطة مسز ألين ثم حاولت بعدها أن

تتكلم ولكن بدون جدوى.. عندئذ اقترب منها رجل فاستمدت منه قوة وجهت إلى صدرها فأمكنها الكلام وقالت: هنا مسز فلاسك.. أنا مسز فلاسك يجب أن أقول لكم الوداع ثم تراجعت نحو الستار...).

ويقول دكتور أرثر ولز في ختام هذه القصة:

(هذه أول حالة مسجلة لشخص يعد ترتيبات لتجسده في دائرة تجسد وينجح في إتمام التجربة وهو مازال في الجسد).

لقد جاءت الشهادات من الحاضرين في الجلسة إثباتاً لما قررته مسز ألين. فقالت مسز لتينكوت: " أنها رأتها بوضوح فكانت ترتدي ثياباً بيضاء ولاحظت أن شعرها ليس مغطى بغطاء أبيض كغيرها من الأرواح، وإنما كان ممشطاً كما في عادتها ".

وقالت مسز روز برول أنها رأتها كما رأت غيرها وكانت تبدو طبيعية من حيث الحجم والتقاطيع ".

وظهور الشخص في أكثر من مكان في وقت واحد يسميه الصوفيون التبدل، وقد أسهبت كتبهم في سرد حوادثه.

يقول الشيخ على الخواص في كتاب (الجواهر والدرر): " أن هذه الظاهرة حدثت للكثير من الأولياء. فخطب السيد إبراهيم الدسوقي الجمعة، وصلى بالناس في أكثر من قرية في يوم واحد وآن واحد ".

" ووقع للسيد عبد القادر الدشطوطي أنه بات عند إنسان في الجزيرة مقابل روضة المقياس بمصر.. وفي بلد آخر واستصحبه كل واحد إلى الصباح وعشاه لبناً ".

وجاء في كتاب (الطبقات) للشعراني كيف كان الشيخ أبو العباس وهو في المغرب الأقصى يحضر جلسات عند الشيخ أبو الحسن وهو في الإسكندرية فيراه البعض ولا يراه البعض الآخر ".

وجاء في كتاب (الإبريز) لمؤلفه أحمد بن المبارك عن إمامه الشيخ عبد العزيز الدباغ:

" قال لي مرة: أنا أتيك في هذه الليلة فرد بالك.. فلما كان السدس الأخير من الليل وأنا بين اليقظة والنوم أتاني.. فلما دنا مني أخذت بيده الشريفة فقبضتها فتبعته وأنا أريد أن أقبلها فلما قبلتها وقبلت رأسه غاب عني ".

وتروي لنا كتب التاريخ قدم الطرح الروحي " الإسراء " كموهبة روحية فقد ورد في كتاب (الفرعونة المجنحة) قول سكيتا ملكة مصر: (كتاب اعرف روحك للدكتور على راضي):

(لقد علمني " تي سي رع " كيف أطرح جسمي، ففي البدء كنت أنظر إلى ضوء براق. ثم استطعت بقوة إرادة دون أن يقدم لي هو أية مساعدة أن أسافر وأترك جسمي كما لو كان في حالة نوم، وكان لساني في نفس الوقت.. ما أراه وما أفعله أثناء ابتعادي عن هذا الجسم).

وتقول سكيتا أيضاً في كتاب (الفرعونة المجنحة) في وصف عملية الطرح حينما ذهبت بروحها لتزور بلاد روما:

(خيل إلى أني رحلت كما يرحل الطير ورأيت تحتي بلداً يغطي حقوله نبات القمح وذهبت إلى هيكل كبير.. وكان يحيط بالمعبد جدار عال بيضاوي. ولم أر في هذا المعبد من يرشد الناس ولم تكن كهنتهم

إلا خدما لتمثال إله يدعى مردوخ).

ثم تكمل وصف ما رأته أثناء عملية الطرح للناس سواء في قراهم أو حقولهم أو معابدهم.. وكأنها كانت موجودة هناك بلحمها ودمها.. **وفي أثناء نومها كانت تطرح نفسها دوما فهي تقول:**

" مازالت روحي تشرف على بلادي وتراقب أحوالها ورأيت امتداد أرضها كما لو كنت أطير كالصقر فوقها ".

ويقول ممفيس في كتاب " أول فرعون: " وأدركت أنني أخرج من جسمي.. كنت ذا شخصيتين جسمي المادي وهذا الجسم الآخر الذي كان في استطاعته أن ينتقل بعيداً عن جسمي المادي الذي يكون في شبه نوم أو نوع من الغيبوبة وسرعان ما أدرك أنني وأنا في هذه الحالة الروحية يمكني أن أقابل آخرين ".

وتقول سوفيرا في نفس الكتاب:

(وجدت أني عندما استلقى على ظهري في سريري سرعان ما أخرج من جسدي).

وتقول: (كنت في الثانية عشر عندما تعودت على الطيران، كنت أخرج من جسدي تترك قدماي الأرض وهكذا استمر رويداً رويداً، أذهب فوق البحر وفوق الأنهار.. ومع ذلك لم أكن نائمة أو لم أكن في غيبوبة كما تسمونها الآن).

* * *

2- طرح (إسراء) الجسد والروح معاً

يقول علم الروح الحديث بإمكان نقل جسم فيزيقي من مكان إلى مكان آخر.. وفي هذه الحالة تسير المادة بسرعة فائقة فقد تكون أكبر من سرعة الضوء (300.000 كم/ث) ولو اعترض سير الجسم عائق كحائك مثلاً فإن الأرواح تعمل على تفكيك ذرات الحائط بحيث يمر منها الجسم ثم تركب من جديد في الحال.. ويتم ذلك بسرعة فائقة بحيث لا يدرك الموجودون من البشر العملية التي تمت..

وأمامنا أمثلة عديدة لهذه الظاهرة التي حدثت في التاريخ كما تحدث كل يوم جاء في مجلة فيت عدد ديسمبر 1958 وصف للجلسات العجيبة التي كان يعقدها الوسيطان الشهيران " كوالسكي وجوزيك " وفي إحدى الجلسات وبعد انتهاء الجلسة وجد الوسيط وقد اختفى من غرفة الجلسة وقد كانت مغلقة ومختومة بالشمع الأحمر، وبعد ذلك تبين أنه موجود في غرفة أخرى بعيدة وفي حالة غيبوبة.

ولقد شوهد كولسكي وهو يطير فوق رؤوس الجالسين.. وفي إحدى الجلسات لم يكن الحاضرون مربوطين بالسلاسل، وعندئذ وجد أن بعضهم قد ارتفع في الهواء.

وجاء في كتاب (الحياة هنا وإلى الأبد) لمؤلفه العالم الدكتور أرثر ولز عن شخص يدعى مستر بليتون كتب في عام 1931 يقول:

(كنت حاضراً مرة في جلسة روحية خاصة في هاكني بلندن عندما وجدنا بدون أي سابق إنذار أو إعداد وفي الظلام الدامس

مستر فرانك هيرن قد وضع فجأة وسطنا. وبعد أن أفاق من دهشته واستؤنفت الجلسة وجدنا أن معطفه وقبعته ومظلته قد أسقطت على المنضدة. ثم قال (جون كنج) وهو الروح المرشد أن جماعة الأرواح وجدت فرصة لكي تنقل مستر هيرن من حيث كان مع رفاقه يشاهدون عرضاً تمثيلياً ذلك المساء وكان هيرن عندما ظهر ظهر في شبه حالة غيبوبة..).

ويقول الدكتور أرثر ولز عن تجربة للبروفيسور هر الدورنيلسن مع وسيطة أيسلندية:

(لقد رأينا في عدة مرات كيف تمر المادة خلال المادة، وفي إحدى الأمسيات رأينا كيف أخذت الوسيطة نفسها خلال الحائط إلى غرفة مقفلة مظلمة. وقد يبدو هذا غير معقول..).

ويتكلم العالم السويدي الشهير وليم كروكس مكتشف الإلكترون في كتابه " ظواهر الروحية " عن الوسيط هوم ويثبت أنه ارتفع في سنة 1868 في الهواء ضد الجاذبية الأرضية عشرات المرات بدون أية قوة منظورة. وأنه وفي إحدى المرات خرج إلى الهواء الطلق من نافذة على ارتفاع 85 قدماً عن أرض الشارع، ثم عاد وهو في وضع أفقي من النافذة الأخرى بين دهشة الموجودين الذين كان من بينهم اللورد أدار.

ويقول العالم الدكتور ألكسندر كانون: أن من اليوجيين ما يمكنه أن ينقل جسده الفيزيقي من مكان إلى مكان آخر خلال الفضاء. ويضرب أمثلة لذلك من التاريخ. فأبولوينوس من مدينة (تيانل) مثلاً أمر بالحضور أمام دومتنيان وبعد أن

حضر اختفى فجأة أمام أنظار الموجودين ثم رُي بعد قليل في (بيتولي) قرب قمة جبل فيزوف.

وكذلك ذكر الإنجيل تلك الحادثة الشهيرة عندما اختفى السيد المسيح عليه السلام بسرعة من أمام أعين اليهود في المعبد:

(فامتلأ غضباً جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا. فقاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاؤوا إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل. أما هو فجاز في وسطهم ومضى).

وكذلك جاء في أعمال الرسل:

(ولما صعد من الماء خطف روح الرب فيليس فلم يبصره الخصى أيضاً. وذهب في طريقه فرحاً وأما فيليس فوجد في أشدود).

وجاء في التوراة في إصحاح حزقيال:

(ثم رفعني روح وأتى بي إلى باب بيت الرب الشرقي المتجه نحو الشرق وإذا عند مدخل الباب خمسة وعشرون رجلاً..).

يقول الإمام الشعراني في كتاب (الطبقات) عن لسان الشيخ جمال الدين يوسف:

(اشتقت إلى أهلي بحصن كيفا من بلاد الأكراد فشاورت الشيخ إبراهيم المتبولي، وكان ذلك بعد العصر فقال إن شاء الله يكون. فدخلت الخلوة أقرأ ورد العصر فرأيت نفسي داخلاً بيتي والناس تسلم عليَّ وحملوا الأعلام قدامي فدخلت داري فسلمت على أمي وأبي ومكثت عندهم أخطب في الجامع وأقرئ أطفالاً مدة تسعة

أشهر.. فقوي اشتياقي إلى الشيخ فشاورت والدي ووالدتي، فأذنا لي فخرجت إلى موضع خارج البلد فإذا أنا في خلوة ببركة الحاج فخرجت أسلم على إخواني فلم يسلموا عليَّ، فأخبرتهم بسفري فقالوا: يوسف حصل له الجنون، فعلم الشيخ بذلك فقال: اكتم يا ولدي ما معك).

والذي حدث بعد ذلك في هذه القصة أن جاء والداه بعد ثلاث سنين وقالا للشيخ: إن ابنهما يوسف زارهما فعلاً وأنهما تركاه يعود من أجل خاطره.

وجاء في الكتاب أيضاً أن شيخاً يدعى عقيل المنبجي الطيار شيخ شيوخ الشام عندما أراد السفر من القرية التي كان فيها صعد إلى منارتها ونادى أهلها ولما اجتمعوا طار في الهواء وهم ينظرون إليه.

لقد قدمنا فيما سبق الطرح الروحي الأرضي أو الإسراء بأنواعه، فأين نضع قصة الرسول صلى الله عليه وسلم فيه؟

هل أسرى به صلى الله عليه وسلم بالروح فقط وجسده الفيزيقي مازال راقداً في فراشه وبذلك لا يخرج الأمر كله عن كونه رؤيا منامية؟

أم هل أسرى به صلى الله عليه وسلم بالروح والجسد معاً على فرض اختفاء جسده الفيزيقي من بيت أم هانئ في مكة؟

ولقد لاحظنا مما تقدم أن الانتقال بالجسد أثناء النوم أو اليقظة لمسافات قريبة أو بعيدة شيء ممكن الحدوث عند الروحيين.. وعلى هذا لا يكون الإسراء بالجسد شيئاً مستحيلاً.. وكون الفراش مازال دافئاً لا يتعارض مع هذا لأن الإسراء والمعراج لم يستغرقا وقتاً.

أم هل أسرى صلى الله عليه وسلم بالروح متجسداً ومازال جسده الفيزيقي راقداً في فراشه؟

ولقد رأينا في الأمثلة المتعددة التي قدمناها آنفاً كيف أن الشخص لمطروح قد يترك جسده الفيزيقي ملقي في مكان ما وينتقل بروحه حيث يتجسد في مكان آخر ويقوم بكل الأعمال المادية التي يعملها الشخص العادي.. يرى ويأكل ويشرب.. ويتكلم مع الآخرين.. وفي هذه الحالة لا يمكن للمتعاملين معه أن يفرقا بين حالته هذه وبين حالته التي اعتاد الناس رؤيته فيها.. فبالتفسير الروحي إذن يمكن قبول افتراض إمكانية حدوث الإسراء بالروح مع التجسد.

وكما وجدت مسز فلاسك في تجربتها التي سبق أن ذكرناها أنها قد رأت أشياء ولم تر أشياء أخرى موجودة في نفس مكان الجلسة، كذلك رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أشياء وصفها بالدقة ولم ير أشياء أخرى عن معالم تلك الليلة.. وهذا منطقي وطبيعي لعدم ضرورة ما لم يره فبالتالي لم يلفت نظره لتركيزه فيما هو أهم وأجدى.. خاصة وأن الزيارة كانت ليلاً ومن المنطقي ألا يرى تفاصيل المسجد كلها في الظلام.. ومع ذلك من باب العناد والمشاغبة والرغبة الأكيدة في التكذيب سأله أبو جهل عندما سمع قصة إسرائه أمام جمع من قريش أن يصف له بيت المقدس وصفاً كاملا دقيقاً ومن الحضور من زاره قبل ذلك.. فأراد العلي القدير أن يخزي أعداءه وألا يظهروا عليه.. فجلي له المولى عز وجل بيت المقدس أمام عينيه كما تقدم ذكره.. وعرض عليه جبريل عليه السلام صورة كاملة للمسجد فأخذ بعدئذ يرد على أسئلة أبي جهل ومن معه تفصيلا وبكل دقة..

وفي رأينا ترجيح الاحتمال الثالث بإسراء الرسول صلى الله عليه وسلم بالروح متجسداً فإنه بالإضافة إلى ما تقدم يصدق فيه كل ما جاء من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته.. وأيضاً ما جاء عن السيدة عائشة ♥ في قولها:

(ما فقد جسد رسول ولكن الله أسرى بروحه" وما أقسمت عليه : والله ما فقد جسم رسول الله عرج بروحه).

وقد يجدر في هذا الصدد أن أذكرك عزيزي القارئ بأننا على يقين تام بأن الذي أسرى بالرسول صلوات الله وسلامه هو الله سبحانه وتعالى العلي القدير، وهو العليم الخبير بكيفية الإسراء برسوله صلى الله عليه وسلم وحقيقته.. وإذا كنا نجتهد في البحث لترجيح احتمال عن احتمال.. فإننا نؤكد على أن اجتهادنا هذا لا يخرج عما أمرنا به الله تبارك وتعالى من أن نفقه من أسرار الوجود، قدر ما نستطيع في أرض وسماوات وفي مادة أو حياة.

قال تعالى:{ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: ١٨٥].

وقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾} [الفرقان: ٧٣].

واستجابة لأمر الله تعالى نستهدي حكمته جل وعلا في فهم آياته عن بصيرة ويقين.

كما أننا يجب أن ننبه أيضاً إلى أنه قد يتساءل البعض قائلاً :

"إذا كان موضوع الإسراء في حد ذاته قد سبق فيه البعض الرسول ولحقه بعض آخر ممن أنعم عليهم الله عز وجل بهذه

الموهبة الروحية "الطرح الروحي" فأين هي المعجزة التي ينفرد بها الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بإسرائه صلى الله عليه وسلم ؟ ".

ونود في هذا الصدد أن نرد على ذلك بالإشارة إلى بعض من دلائل الإعجاز البين في إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم :

1) إن الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لم يكن يدر بخلد الرسول ولا بخاطره، كما لم يعد نفسه لذلك سواء بالتدريب أو الممارسة من قبل كما يجري مع الذين أودع الله فيهم هذه الموهبة الروحية وإنما الذي أعده وأهله لذلك في ذات ليلة الإسراء هو العلي القدير سبحانه وتعالى بأمره لملائكته والروح القدس "جبريل عليه السلام" بتنفيذ ذلك.

2) إن إعداد مركبة وهي دابة (البراق) التي تضع خطوها عند أقصى طرفها ولا يعلم إلا خالقها العظيم كنهها أو ماهيتها لتقل الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وتكون تحت إمرته في إسرائه يسرع بها حينما يريد، ويبطئ بها حينما يريد، أن يرى ويتكلم مع القوافل التي يمر بها ويشرب قدحاً من الماء لديهم.. كأدلة يسوقها إلى قومه على تأكيد إسرائه عند عودته إليهم.. لهو آية عظيمة وتكريم وتشريف عظيمين من العلي القدير عز وجل لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

3) إن ما أراه العلي القدير سبحانه وتعالى لرسوله الكريم في رحلة الإسراء من آيات ومشاهد تخلص إلى كيفية إثابة المؤمنين وعقاب الكفار والمشركين ومرتكبي المنكر والفواحش والعصاة وبصحبته الروح القدس "جبريل عليه السلام" للرد على استفساراته تثبيتاً لفؤاده صلى الله عليه وسلم والإيمان اليقيني بصدق دعوته ومدى أهمية عظيم رسالته للإنسانية جمعاء.. بعد أن شكا إلى ربه مدى ما يلاقيه من اضطهاد وتعذيب وعنت.. وعناد ومكابرة وغلظة وقسوة من خصوم دعوته داعياً إياه جل وعلا أن يثبته ويقوي إيمانه

ويجعله محل رضاه تبارك وتعالى.. لهو تكريم وتشريف عظيمان أيضاً من العلي القدير سبحانه وتعالى لرسوله وآية معجزة اختص بها المولى عز وجل رسوله الأمين دون غيره من أقرانه وأخوته من الرسل والأنبياء السابقين.

إن تشريف الرسول صلوات الله وسلامه عليه بإشارة من الروح القدس "جبريل عليه السلام" أن يتقدم تنفيذاً لأمر العلي القدير الواحد الأحد لإمامة الرسل والأنبياء جميعاً في الصلاة لله عز وجل بالكيفية التي فرضها العلي القدير سبحانه وتعالى عليه.. لدلالة عظيمة على أن رسالته هي الخاتمة والمهيمنة والأعظم والأشمل لكافة الرسالات...

مصداقاً لقوله تعالى:{ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ } [آل عمران: ١٩].

وقوله عزل وجل:{ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ } [آل عمران: ٨٥].

فأليس في هذا تكريم معجز من الواحد الأحد جل وعلا انفرد به رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم.

4) لا ريب أن ما كان من كفار مكة ومشركيها من اللجاجة في الجدال. والإلحاف في السؤال عن العير وعدتها وأحمالها، وعن صفات بيت المقدس، دقيقها، وخفيها.. وما دار من استفسارات لم تكن في إجمالها أو حد ذاتها كما ذكرنا من قبل أسئلة إنصاف أو منطق عاقل يقصد بها التعرف على الحقيقة.. وإنما كانت أسئلة عناد ومشاغبة، يراد بها إظهار الرسول صلى الله عليه وسلم بمظهر العاجز عن إجاباتهم إلى بعض ما سألوا أو حتى في سؤال واحد مما سألوا يشفوا به غليلهم في تكذيب ما أخبر به.. ولكن الله عز وجل

أراد ألا يصلوا إلى غايتهم في تكذيب الرسول أو إظهاره بمظهر العاجز فكشف له بآية معجزة عن المواقع والمعالم لما إلتبس عليه بعض الشيء مما سألوا عنه.. وجلي له بيت المقدس.. حتى كان ينظر إليه أقرب من دار عقيل بما أودعه الله فيه من مواهب روحية عظيمة تمكنه بيسر من ذلك.. فجعل ينعته لهم ويستجلي إجاباتهم من مشاهداته التي يسددها طعنات في صدور خصوم دعوته من كفار مكة ومشركيها وطغاتها.. وغماً وكمداً في أفئدتهم.. وليظل دائماً وأبداً بين قومه وأمته وحتى ألد خصومه.. الصادق الأمين.. فأليس في ذلك آية معجزة من العلي القدير لتكريم رسوله الصادق الأمين؟!.

* * *

ثالثاً: المعراج

لقد كان المعراج الرحلة الثانية التي تلت رحلة الإسراء والتي بدأت من صخرة بيت المقدس صعوداً إلى السماء الأولى حتى السابعة حتى سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى ولا ريب أن المعراج هو قضية العقل والبصيرة - وقد يجدر بنا عند بحث هذه القضية أن نستفت فيها العلم. فماذا يقول العلم في البعد بين الأرض والسماء الأولى؟.

ومن الملفت للنظر أن علمي الفلك والطبيعة لا يعرفان عن السماء أكثر مما في كتب اللغة من أن السماء سو وارتفاع، فكل ما علاك فهو سماء.. ومن ثم فليس في مقاييسها إدراك حقيقة عليا محيطة بالوجود المادي منفصلة عنه اسمها سماء..

بيد أنهما يقولان: إن سعة الكون المادي من نجوم ومجموعات شمسية ومجرات وسدم تبلغ في حد علمنا.. وعدساتنا 1000 مليون سنة ضوئية.. ومعنى ذلك أن الضوء الذي ينطلق بسرعة 300000 مليون سنة في فضاء شاسع لا ندري له حتى اليوم نهاية.

ومع ذلك فالعلم يلم بكون فسيح أرحب من هذا بكثير.. فمعادلة رياضية عند أينشتين تحسب لاتساع الكون المادي ما يقرب من 35 بليون سنة ضوئية لنصف قطرها.. أي أننا نعيش في كون مادي ينفسح إلى 70 ألف مليون سنة ضوئية.. وقد يكون أفسح من ذلك.

وثمة نظرية أخرى تقول: إننا لن نرى من هذا الكون المادي أكثر من 2000 مليون سنة ضوئية أي بليون سنة من 35 بليون

لنصف القطر كما تقول المعادلة الرياضية.

أما سبب ذلك: فهو ما سجلته المراصد من تباعد الأجرام والمجرات عنا بسرعات جبارة حتى تصل إلى تعادل سرعة الضوء على مدى 2000 مليون سنة ضوئية، حيث تتعادل السرعتان، سرعة تباعد المجرات وسرعة مقدم الضوء إلينا، فتتلاشى رؤيتها وتسجيلها على هذا المدى فتصبح نهاية معرفتنا عن كرة الكون المادي لملايين من الشموس والنجوم والمجرات والكواكب والأقمار عند 2 مليون سنة.. ويظل ما بعدها مجهولاً لنا تماماً.. والعلم في حيرة من تعليل نظرية تباعد هذه النجوم بهذه السرعات الجبارة والمضطردة.

ومن ثم فالعلم المادي لا يعرف بمقاييسه الحالية سوى جزء يسير من الكون المادي، ولا يدري شيئاً عن كون مستقل اسمه السماء، ذلك الشيء الذي إن كان فهو من فوق هذه المجرات والنجوم متسامياً بطبيعته عن المادة ومجالاتها وأفلاكها.

ونرى أن نستفتي في صنعة الوجود كتاب الوجود إتماماً لصورة الوجود فأين وضع السماوات كما يقول القرآن المجيد؟

يحدثنا القرآن الكريم عن الكون المادي بنجومه ومجراته التي نجد ومما يخفى عنا سواء أرينا مليون سنة ضوئية أو رأينا غداً بليون سنة ضوئية أو نراه بمعادلاتنا الرياضية 700 بليون سنة لكرة الكون المادي.

يقول القرآن: إن كل هذه الأجرام إنما هي ثريات لزينة السماء الأولى التي تحيط بالكون المادي كله ثم من بعدها ست سموات طباقاً في هذا الجلال والجمال.. بل أروع بكثير..

تسكنها الملائكة خلق النور... يسبحون بحمد الله آناء الوجود لا يفترون. يمضون في الكون المادي كله بأمر الله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

والآيات في ذلك كثيرة ولنقرأ منها قوله تعالى:

قال تعالى:{تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾} [الفرقان: ١ - ٥].

وقوله عز وجل:

قال تعالى:{وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾} [الصافات: ١ - ٦].

وقوله جل شأنه:

قال تعالى:{ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾} [فصلت: ١١ - ١٢].

فالسماء الدنيا إذن زينتها القدرة الربانية بمصابيح الشموس والكواكب والأقمار.. ثم يحيط بها ست سماوات ما بين كل سماء

وسماء كما بين الأرض ومعها الكون المادي والسماء الدنيا..{مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ} [الملك: ٣].

وقوله عز وجل:

قال تعالى:{لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾} [الشورى: ٤ - ٥].

وفي ذلك يقول الرسول الكريم:♂ **أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك راكع لله أو ساجد**ـــ حديث صحيح أخرجه مسلم ورواه أحمد في مسنده.

أما الملائكة فهم خلق النور كما يقول الحديث الآخر: ومعنى هذا أنه بيننا - سكان الكون المادي - وبين السماء الدنيا نحو بلايين السنين بسرعة الضوء فما بالنا بالسموات السبع فسدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى؟

ومن ثم فليس في مقاييس العلم المادي ولا قوانينه ما يفسر معجزة المعراج بالجسد الشريف. **وهنا يتدخل الصوفية الكرام ليقدموا حلاً ملخصه: أن الجسد الشريف قد تحول إلى نور حتى يتكيف مع طبيعة السمو إلى ما فوق السماوات.**

والعلم الحديث يسلم بأن الجسد الشريف من النور، بل إنه يقول: أن كل الكون المادي من النور، ذلك لأن الأرض كانت قطعة من الشمس أو من نجم آخر، والأرض والشمس تشمل نيفا وتسعين عنصراً غازياً وسائلاً وجامداً وكل العناصر مكونة من ذرات لا ترى بأكبر المجاهر، وكل ذرة عبارة عن مجموعة شمسية

كمجموعتنا الشمسية مكونة من شحنة كهربائية موجبة في المركز تدور من حولها إلكترونات - شحنات سالبة - ومعنى ذلك أن طبيعة كل مادة من الكهرباء أي النور.. ويزيد على ذلك ما يأتي:

إن تحويل ظلال المادة إلى إشعاع ونور ينطلق بسرعة الضوء أمر مسلم به.. فظواهر التلفزيون والرادار ونقل الصور.. إنما يتم بتحويل ذرات الصور المادية في الفوتوغرافيا إلى ذبذبات كهربية تنطلق عبر الأثير ثم تجمع في جهات الاستقبال (شاشات التلفزيون أو الرادار... إلخ).

ومن قبل كانت معجزة النبوة الكريمة لدى النبي سليمان عليه السلام إذ طار عرش بقليس من اليمن إلى فلسطين بنفس هذه القوانين، بسرعة الضوء بعد تحويله إلى ذراته الأولية. فسجد سليمان شاكرًا لله أنعمه وفضله.

وقص القرآن ذلك بعدها بعشرات القرون ومضى على المسلمين أربعة عشر قرناً فما دروا - يقينًا بهذه القوانين. وما حاولوا أن ينظروا في ملكوت السماوات والأرض بالعلم والمعرفة فسبقهم إليها غيرهم..

ومن ثم فالعلم يتطلع مستقبلاً إلى نقل صور كاملة بل قطعاً مجسمة بل مناضد وآرائك عبر الأثير بعد تحويلها إلى ذبذبات كهربية أي إلى ذراتها الأولى النورانية.. ويشاهد الآن في الغرب في السينما شرائط تؤيد هذه النظرية.

وإذا كان العلم يسلم بنقل المادة المجسدة بعد تحويلها إلى ذبذبات كهربية فهو يرفض ذلك التفسير بالنسبة للجسد الحي الذي لابد أن

تفارقه الحياة عند هذا العد فضلاً عن أنه لو قد تم ذلك لاحتاج الانتقال في الكون المادي فقط بسرعة الضوء 70 بليون سنة. فضلاً عن السماوات العلا والعودة منها. فرأى الصوفية وإن كان مسلماً من تحويل الجسد الشريف إلى نور فهو غير مسلم لنهايته.

ويرى علم النفس أن المعراج رؤيا مع الحس ومن فوق الحس.. في ساعة من الصفاء النفسي الرفيع حلقت فيها القوى الإدراكية والخيالية والتصويرية الجمالية إلى آفاق عالية في لحظات من اليقظة الواعية فمرت بهذه المشاهد الرائعة التي كونت قصة المعراج والإسراء، وأنه لاشك في أن نفس الرسول الكريم تسامت حتى أصبحت الأرض والسموات بالنسبة لها دوائر صغيرة.. فتعالى عن كل ذلك فتهيأ لهذه الرؤيا في آفاق من النور العالية.. مناماً أو بين المنام واليقظة.

وأهل التفسير الظاهري قد يسرهم هذا الرأي يهشون له ليكونوا بعيدين عن أعباء التحليق في سموات الفكر والبصيرة. ويقرب منه تصور المعتزلة وعليه بعض الصحابة.. وبمثله يقول الأستاذ محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد).. حيث يرى أن لحظة من لحظات الصفا النفسي أحاطت نفس محمد صلى الله عليه وسلم بالوجود كله أرضه وسمواته وما فوق سمواته. وبالزمن سابقه ولاحقه. حتى شاهد الأنبياء قد تجمعوا من حوله يصلي بهم ويصعد إليهم في سمواتهم ويشاهد مستقبل الأحداث كما يصوره له القرآن الكريم.

ويؤكد الروحانيون ومنهم الأستاذان الدكتوران رؤوف عبيد صاحب المؤلف الشهير " الإنسان روح لا جسد " وعلي

راضي في كتابه " الروحية والدين " على أنه لا يوجد أدنى شك في أن هذه الرحلة كانت بالروح لا غير، إذ لا يمكن أن يرتفع الجسد الأرضي من باب السماء. فقانون الخليقة يرتب المواد والعناصر والطبقات والمستويات، فهناك جسم صلب وهنك جسم سائل وهناك جسم غازٍ، وهناك جسم حيواني، وجسم أثيري، وجسم روحي.. إلخ.

ويقول الشيخ الجيلي في كتابه (الإنسان الكامل):

" ومن المكلمين من يذهب به الحق في عالم الأجسام إلى عالم الأرواح وهؤلاء أعلى مراتب.. ومنهم من يصعد بروحه إلى سماء الدنيا ومنهم إلى الثانية.. كل حسب ما قسم له.. "

ويقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كرونتوس: (يوجد جسم حيواني ويوجد حسم روحاني وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي).

وكما أنه يوجد لكل طائر أو بالون أو صاروخ مستوى معين لا يمكن أن بتعداده في الارتفاع وكما أن لكل موجة لاسلكية مدى تصل إليه. فكذلك أيضاً لكل جسم روحي مستوى معين في العوالم الأثيرية لا يمكنه أن يتعداه فالثقيل يرسب والخفيف يطفو.. أليس هذا قانونًا في علم الفيزياء؟!.

وذلك القانون يخصص الأرض للجسم الطيني الذي ارتداه آدم عند هبوطه إليها، كما يخصص السماء للجسم الروحي الذي كان يرتديه قبل أن يهبط منها. وكما تسكن الأرواح السماء تسكن الملائكة وغيرها من المخلوقات التي نجهلها.

وتروي كتب السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وصل المسجد الأقصى ربط البراق عند الباب ودخله فصلى ثم أتى بالمعراج (أي السلم أو الطريق الذي سيتبعه الرسول في الصعود) فصعد فيه بصحبة الروح القدس جبريل عليه السلام إلى السماء الدنيا ثم إلى بقية السماوات السبع.. إلخ.

وهناك آيات عدة تبين أن الملائكة تصعد إلى السماء عن طريق المعراج: " تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة " (المعارج). ومن هذا يتبين لنا - وهذا هو رأينا أيضاً - أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه عندما صعد إلى السماء تلك الليلة كان في جسمه الروحي لا غير. وهذا شيء منطقي وواضح من ثنايا القصة فهو يصف لقاءه مع الأنبياء السابقين عليهم السلام، ولما كان هؤلاء أرواحاً وليسوا أجساماً فيزيقية فلابد وأن يكون النبي روحاً في هذا الموقف.

يقول العالم الشهير سويدنبرج في موسوعته " الجنة والنار ": أن الأرواح المتقدمة تصعد إلى السماوات في طرق قد لا تعرفها الملائكة وإنما يعرفها الله وحده، وعندئذ تنضم هذه الأرواح المتقدمة إلى المجتمعات المشابهة لها في تلك الطبقات العالية.

وقد يفسر لنا هذا تخلف جبريل عليه السلام عن الصعود مع الرسول صلى الله عليه وسلم حين وصل إلى سدرة المنتهى كما تقول كتب السيرة لأن روحاً بشرية بمثل تقدم روح محمد صلى الله عليه وسلم قد تكون أدرى بالطريق إلى الله من الملاك ذاته وإن كان الجميع يسجدون لخالقهم العظيم،

يقول سبحانه:{ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾} [النحل: ٤٩].

أما ادعاء البعض بأن محمد صلى الله عليه وسلم قد قابل ربه سبحانه، وتعالى ليلتئذ فهذا إدعاء لا يقره العقل كما أن الرد الحاسم على ذلك يأتي من قول الله تبارك وتعالى في محكمة آياته:{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾} [الشورى: ٥١].

وأن كل الذي نستطيع أن ندعيه يقيناً أنه لا يوجد من الرسل والأنبياء من انفرد بالوحي إليه في السماء من الله عز وجل بهذا القرب وبهذا التكريم غيره صلى الله عليه وسلم.

أما لماذا اختير بيت المقدس كمحطة للمعراج ولم يختر المسجد الحرام كما يتساءل بعض المستشرقين من خصوم الإسلام باعتبار أن قداسة ومنزلة المسجد الحرام عند المسلمين أعلى وأكبر.

والرد على ذلك بسيط واضح فلقد نسى أو غفل كل من يحمل هذا التساؤل أن رحلة الإسراء والمعراج حدثت في بدء الرسالة المحمدية - أي قبل الهجرة، وفتح مكة - وكانت الكعبة وقتئذ تعج بدنس الأصنام والوافدين لعبادتها ولم يكن قد تم تطهيرها بعد من هذا الدنس.

حتى إن قبلة المسلمين آنذاك كانت في اتجاه بيت المقدس.. كما لا يخفى أن منزلة المسجد الأقصى في نفوس المسلمين منزلة كبيرة لها قدسيتها وخصوصيتها.. فهو مهبط الوحي لكثير من الرسل والأنبياء عليهم السلام السابقين.

وفي رأينا أن هناك حكمة من وراء ذلك تدعو الأمة الإسلامية على مر الأجيال والعصور اللاحقة لعصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى توحيد كلمتها لتطهير أرض الله المقدسة من بذور الشرك والظلم والفساد، وقوى البغي والعدوان متمثلة في إسرائيل، فإن حادث الإسراء يوحي للمسلمين بمبدئه وهو " المسجد الحرام "، ومنتهاه وهو " المسجد الأقصى ".

ويوحي إليهم بتذكر مهابط الوحي الأولى الذي تلقاه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ومهابط الوحي الثاني الذي تقلياه موسى وعيسى عليهما السلام.. ويوحي أيضاً بأنها كلها مهابط الرسالات الإلهية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم لتكميلها والهيمنة عليها.

كما يوحي بأن الرسالات وأن اختلفت أزمنتها وتعددت رسلها واحدة في دعوتها وغايتها، وأن جميع الرسل الذي اصطفاهم الله لتبليغ تلك الرسالات بناة بيت واحد. يضع آخر لبنة فيه خاتمهم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام صاحب الإسراء والمعراج.. وإذن فلابد أن يخفق عليها دائماً علم التوحيد والإيمان على النحو الذي جاء في رسالته صلى الله عليه وسلم. ولابد أن تطهر رقعتها من بذور الشرك والظلم والفساد.. وأن يعلو فيها سلطان الحق وعدالة السماء والعدل وحرية الإيمان والفكر والعمل:

قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨} [التوبة: ٢٨].

وإذا كان المبدأ وهو المسجد الحرام يجب على المسلمين تطهيره وتطهير إقليمه مما تأباه الرسالة الإلهية وقد طهروها فعلاً، فإن منتهاه وهو المسجد الحرام وإقليمه يجب كذلك تطهيرهما مما تأباه الرسالة نفسها:

قال تعالى:{ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ } [التوبة: ٢٩].

ولعل هذا الإيحاء كان أقوى ما حفز المسلمين الأولين إلى العمل على رفع راية الإسلام على بيت المقدس وإقليمه بعد أن رفعوها على المسجد الحرام وإقليمه.

ولعل حديث سورة الإسراء عن كتاب موسى:

قال تعالى:{ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ } [الإسراء: ٢]، وعن إفساد بني إسرائيل في الأرض وخروجهم على مقتضى كتابهم:

قال تعالى:{وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤} [الإسراء: ٤].

وعن وعيدهم في الآيات نفسها بالتنكيل والعذاب إذا استمروا على الإفساد أو عادوا إليه:{وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا} [الإسراء: ٨]. وأخيراً عن شأن القرآن ومركزه في هداية الله التي ختم بها رسالاته إلى الأرض:

قال تعالى:{ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ} [الإسراء: ٩].

لعل حديث السورة عن كل هذا بعد حديثها عن الإسراء مباشرة من أوضح ما يدل على هذا الإيحاء ويرشد إليه.. وما حلقات التاريخ

إلا شاهد عدل على صدق هذا الإيحاء وتوجه النفوس إلى تلبيته في كل عصر وكل مكان. فجدير بالمسلمين إذا أرادوا أن ينتفعوا بذكرى الإسراء والمعراج وقد قص عليهم القرآن ما قص، ورأوا بأعينهم من أعوام مضت، إن الشياطين عادوا إلى ميدان الإسراء والمعراج ليلعبوا فيه من جديد دور الإفساد الذي ورثوه عن أسلافهم وأخذوا يتكتلون ويتعاونون مع قوى البغي والطغيان على تثبيت أقدامهم في أرض المسلمين.. أرض بيت المقدس وضواحيه. بعد سلبه من أهله.

حرى بالمسلمين أن تنفعل نفوسهم بهذا الإيحاء الذي تحليه عليهم رحلة الإسراء والمعراج ويرشدهم إليه كتابهم.. عليهم أن ينتبهوا إلى هذا الإيحاء ويسيروا في طريقه كما سار فيه آباؤهم من قبل، فيوحدون كلمتهم ليستردوا مكانتهم ويطهروا أرض الله المقدسة من عبث المفسدين ويزيلوا عن أنفسهم تلك الوصمة التي كادت تقطع نسبهم بآبائهم الأولين ومكنت منهم أعداءهم الذي توعدهم الله بقوله: {وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا} [الإسراء: ٨].

* * *

رابعاً: العودة

بعد ما شاهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ما شاهد من آيات ربه العلي القدير سبحانه وتعالى وأوحى الله جلا وعلا إليه ما أوحى وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات كل يوم بعد أن سأله الرسول أكثر من مرة التخفيف.. ونادى مناد في السماء بأن أمضى العلي القدير فريضته وخفف عن عباده، خمس في العدد، وخمسون في الأجر، هبط إلى بيت المقدس، وهبط معه الرسل والأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة وفي رأينا أنها كانت صلاة الفجر ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء.

والذي ذكره (ابن كثير) في تفسيره، وتظاهرت به الروايات أنه بيت المقدس، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه، والظاهر أنه بعد رجوعه إليها - وهذا هو رأينا أيضاً - لأنه صلوات الله وسلامه عليه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً، وهو يخبره بهم لما فرغ من الذي أريد به، وفرضت عليه الصلاة وكيفية أدائها اجتمع هو وإخوانه من النبيين، ثم أظهر الله شرفه وفضله عليهم بالتقدم في الإمامة، وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له في ذلك، ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق عائداً إلى مكة.

وفي رأينا أنه صلوات الله وسلامه عليه صلى بالرسل والأنبياء ببيت المقدس إماماً صلاة الفجر وهو وهم جميعاً بالروح متجسدين.. كما سبق شرحه من قبل.

جاء في إنجيل متى ما يلي:

(أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين، وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور وإذا موسى وإيليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه..)

وهذا هو الطرح الروحي مع التجسد كما يصفه تماماً الروحانيون وعلم الروح الحديث.

إذن ففي بيت المقدس تجسدت من قبل روح النبي موسى والنبي إلياس وتكلما مع روح النبي عيسى متجسد أيضاً قبيل توديعه لأورشليم في تلك الليلة الخالدة.. وبمعنى آخر أيضاً أن التلاميذ بطرس ويعقوب ويوحنا كانوا حاضرين عندما ذهب أستاذهم ومعلمهم المسيح ♠ مطروحاً بالروح متجسداً ليقابل روحي موسى وإيليا عليهما السلام المتجسدين.

ولا ريب أنه في تلك الأثناء كان جسد المسيح الفيزيقي على الأرض وقت الإسراء " طرح " روحه مع التجسد، ومن المقرر يقيناً أيضاً عروج المسيح ♠ إلى السماء تطهيراً له من الذين كفروا برسالته والانحراف بها عن مراد الله عز وجل وذلك بنص قوله عز وجل في محكم آياته:

{ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ } [آل عمران: ٥٥].

وينادي البعض بأن المسيح ♠ كان رفعه وعروجه إلى السماء روحاً وجسداً وفي رأينا أنه تم رفعه إلى السماء بالروح فقط بعد أن

أتم رسالته كما حدث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في معراجه ويؤيدنا في حسم هذه القضية نص قول الله تعالى في محكم آياته:

قال تعالى:{ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾} [الزمر: ٤٢].

وقد تجدر الملاحظة أن في الآية (55) من سورة آل عمران أن لفظ

" متوفيك " سابق على لفظ " رافعك " أي أن هناك وفاة حدثت قبل الرفع. والوفاة لا تكون في العروج بالروح والجسد.. وإنما بالروح فقط.

يقول بولس في رسالته الأولى لأهل كرونثوس:

(يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني وكما لبسنا صورة الترابي، سنلبس أيضاً صورة السماوي "

وعلى هذا نرى أن تجربة المعراج قد حدثت مع المسيح ♠ قبل رسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليه وإن كان ما حدث مع المسيح ♠ كان عند انتهاء رسالته مع بني إسرائيل في الأرض.. وما حدث مع الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه كان في بدء رسالته.. ومقترناً بالوحي إليه من العلي القدير بما فرض عليه وعلى أمته وربما أيضاً أن العروج قد حدث مع رسل وأنبياء آخرين إلا أن درجة العروج هي التي قد تتفاوت.. إذ إن بيت المقدس كان مهبطاً لكثير من الأنبياء السابقين.. ولهذا نجد أن الله تبارك وتعالى يقول

عنه في محكم آياته:{ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ} [الإسراء: ١]، ومثل هذا المكان المبارك الذي عاش فيه الأنبياء عندما كانوا أحياء ومن الطبيعي أن يظل مهبط حبهم ورعايتهم عندما يصبحون في عالم الروح.

هذا هو اجتهادنا فيما يتعلق بمعجزة الإسراء والمعراج.. والله جل جلاله أعلى وأعلم وعنده سبحانه وتعالى فصل الخطاب.

* * *

ثالثاً: ومضات أثناء الهجرة

منذ أن عاد محمد صلى الله عليه وسلم مع فتاه زيد من الطائف إلى مكة - وفكرة الهجرة لازالت متبلورة في رأسه ويرى في بصيرته ثم في منامه أنه أذن له بالهجرة وأن البلد المقصود هي يثرب (المدينة) وليست الطائف.. وأن ما رآه مصاحباً له هو أبو بكر وليس زيداً.

ويذهب رسول الله سراً إلى صاحبه أبي بكر ويبلغه أنه قد أذن له في الهجرة إلى يثرب.. وعندئذ يتوجه أبو بكر إلى عبد الله بن أريقط للاتفاق معه على استئجاره كدليل للرحلة، وكان ابن أريقط عندئذ يدين بقريش.. وأن يعده برعاية الدابتين ويأتي بهما إليهما في الغار بعد ثلاث ليال.. وفي ليلة السفر جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب ☺ لينام في فراشه حتى يخدع المترصدين له من شباب قريش بأنه مازال في البيت.. ثم خرج عليهم صلى الله عليه وسلم.. ولما رآهم أخذ بحفنة من التراب ألقاها عليهم من بعد ولكنهم لم يروه فقد عمت أبصارهم ومر عليهم كأنهم خشب مسندة.. ويا لها من ظاهرة.

وذهب محمد صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وخرجا متخفيين صوب المدينة.. ولاشك في أن الرسول صلى الله عليه وسلم مع تخفيه هو وصاحبه أخذاً بالأسباب واجتهاداً فيها عملاً بقواعد الناموس.. كان هناك ما يبث الطمأنينة في قلبه.. إذ لابد وأنه تذكر وهو خارج من وطنه ما حدث لأخوته من الأنبياء الذي أخرجوا من أوطانهم.. ألم يقل الله ليعقوب ♠ بلسان التوراة:

(... اخرجوا من بابل أهربوا من أرض الكلدانيين.. قولوا قد فدى الرب عبده يعقوب - ولم يعطشوا في القفار التي سيرهم فيها. أجرى لهم من الصخر ماء..)

وألم يقل جل وعلا عن موسى ♠ في القرآن الكريم:

قال تعالى{وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ } [الشعراء: ٥٢].

وألم يقل تبارك وتعالى أيضاً في محكم آياته:قال تعالى:{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾} [التوبة: ٢٠].

قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾} [النساء: ٩٧].

هذا ويشير علم الروح الحديث " الباراسيكولوجي " إلى أن الهجرة هي أحد قوانين التطور الروحي (أي هي أيضاً موت صغير وانتقال من حياة إلى أخرى) فعندما يضيق الإنسان بمكان، عليه أن يغادره إلى مكان أفضل وقوم أفضل.. تماماً مثلما تضيق الروح بجسدها في يوم ما وعندئذ عليها أن تغادره إلى مكان أفضل أي إلى عالم الروح...) ونحن نجد في القرآن الكريم أن المسيح ♠ عندما ضاق به قومه وضاق بهم لعنادهم وإمعانهم في ضلالهم وكفرهم طهره العلي القدير منهم برفعه وتخليصه من من حصارهم وتضييقهم وقسوة قلوبهم ورقابهم... إلى ما هو أوسع وأرحب لإتمام رسالته في الأرض،{وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾} [المؤمنون: ٥٠].

قال تعالى:{ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾} [آل عمران: ٥٥].

و في حالة محمد صلى الله عليه وسلم حامل الرسالة السماوية الخاتمة والمتممة لما قبلها من رسالات نجد أن العلي القدير قد طهره أيضًا من الذين كفروا بطريق الهجرة والمثابرة في الجهاد.

وصل الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه صاحبه الصديق إلى غار ثور ومكثا به ثلاث ليال. كانا أثناءها يتلقيان أنباء قريش عن طريق عبد الله بن أبي بكر الذي كان يذهب إليهما ليلاً ثم يعمل عامر بغنمه على إخفاء معالم قدميه فوق الرمال... ويأتي إليهما بعض الرجال المسلحين من قريش بحثاً عنهما ويقف أحدهما على باب الغار ثم يعود فيسأله رفاقه " لم تنظر في الغار؟ فيجيب: " إن عليه العنكبوت من قبل ميلاد محمد وقد رأيت حمامتين وحشيتين في فم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد وفي نفس الوقت يرفع الصديق رأسه وينظر فيرى أقدام القوم ويقول: " يا نبي الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا.. " ثم يردف قائلاً: " إن قتلت فإنما أنا رجل واحد وإن قتلت أنت هلكت الأمة... " فيجيبه النبي في ثقة واطمئنان: " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ".

ويعود رجال قريش خائبين خاسرين إلى قومهم... وينجو رسول الله وصاحبه من تدبيرهم وكيدهم ورغبتهم المحمومة في قتله والتخلص منه ومما يدعو إليه... ويتبين تماماً من خطاب الرسول مع صاحبه أنهما لم يكونا وحدهما... بل كانت هناك قوة أخرى مطلقة... قوة الله العلي العظيم.. هي التي تدخلت لنجاتهما ونصرهما.

ويصف الله تبارك وتعالى هذا الموقف في القرآن الكريم بقوله:

قال تعالى:{إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾} [التوبة: ٤٠].

وتتأكد قريش من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخروجهما من مكة... فتنطلق جادة للبحث عنهما وتفرض مائة ناقة لكل من يقبض عليهما.. وعندئذ تنفذ جريمتها المدبرة من زمن وهي قتل رسول الله على أيدي عدة فتيان من مختلف بطون قريش حتى يتفرق دمه على قريش كلها وبذلك يعجز بنو هاشم من محاربة قريش بأجمعها..

وبعد انقضاء الثلاث ليال ذهب إليهما دليلهما عبد الله بن أريقط بالناقتين.. وبدؤوا الانطلاق صوب المدينة بطريق ملتو يشرف على البحر الأحمر... فيلهمهما العلي القدير بالتوجه إلى صخرة ثم يلهم غلاماً ليسوق غنمه نحوهما كي يشربا من لبنها... إذ كانوا قد ساروا أكثر من اثنتي عشر ساعة تباعاً في ذلك الجو الحار وقد تملك منهما العطش.. ويقول أبو بكر ☺ في ذلك: (... أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى قائم الظهيرة. وخلا الطريق لا يمر فيه أحد.. فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس فنزلنا عنده.. فإذا براع مقبل إلى الصخرة يريد منها مثل الذي أردنا.. فحلب في قعب كثبة من لبن.. فقلت: اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت.. ثم قال: ألم يأن الرحيل؟.. قلت: بلى: فارتحلنا بعدما مالت الشمس وأتبعنا سراقة بن

مالك... "

لقد عرف سراقة بن مالك بن جعشم مكانهما.. وهو فارس متميز مشهود له بذلك.. فانطلق وراءهما طمعاً في المكافأة.. فماذا حدث.. يقول سراقة:

(دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستسقيت بها أضرهم أم لا.. فخرج الذي أكره.. فركبت فرسي وعصيت الأزلام وهي تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها، فنهضت، فلم تكد تخرج يديها فلما استوت إذ الأثر في يديها عنان ساطع في السماء مثل الدخان.. فاستسقيت بالأزلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم.. فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية.. فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من أديم ثم مضى..)

أما أبو بكر ☺ عندما رأى سراقة وراءهم فقال:

(يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا.. فالتفت النبي إليه وقال: اللهم اصرعه.. فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم فقال: يا نبي الله مرني بما شئت.. قال: قف مكانك، لا تتركن أحد يلحق بنا.. قال: فكان أول النهار جاهداً على نبي الله وكان آخر النهار مسلمة له، فنزل رسول الله جانب الحرة ثم بعث إلى الأنصار فجاؤوا).

ووصل رسول الله وصاحبه إلى دار عمرو بن عوف حيث مكث عدة ليال وبني مسجد التقوى ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس

مهللين مكبرين منشدين.. ودخل المدينة حتى بركت ناقته " المأمورة " بجوار مسجد الرسول وكان مضيفوه يلحون في رغبتهم بتغيير اتجاهها لاستضافته ولكنه كان يقول (اتركوها - إنها مسيرة).

ومن الواضح - كما أشرنا من قبل - أن الناقة كانت واقعة تحت تأثير إلهام موجه لها من الرسول صلى الله عليه وسلم ترتيباً على إلهام موجه للرسول نفسه من الله سبحانه وتعالى مباشرة أو من جبريل ♠ يعلم به الرسول بالإلهام أيضاً، كما لا يستبعد أيضاً أن يكون هناك روح متجسدة بالنسبة لها يراه الرسول صلى الله عليه وسلم فقط ولا يراه من معه.. يمسك بمقودها الذي يجذبه لكي تبرك في المكان المراد بمشيئة عز وجل.

* * *